

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
République Algérienne Démocratique et Populaire  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique



المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة  
معهد الآداب واللغات  
قسم اللغة والأدب العربي  
المرجع: .....

## رحلة العبدري الشعرية -دراسة موضوعاتية-

مذكرة معدة استكمالاً لمتطلبات نيل شهادة الماستر  
الشعبة: أدب عربي  
التخصص: أدب عربي قديم

إشراف الأستاذ:  
عبد الحفيظ بورايو

إعداد الطالب(ة):  
\* - أحلام بلخير  
\* - خاليدة بريوة

السنة الجامعية: 2018/2017

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# \*\*\* كلمة شكر وعرفان \*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وهبنا القدرة والشجاعة لإتمام هذا العمل ويعد:

نشكر الأستاذ المشرف "عبد الحفيظ بورايو" الذي قبل الإشراف

على مذكرتنا هذه بصدر رحب ولم يبخل علينا بملاحظته القيمة

نتقدم بالشكر الجزيل لأساتذة معهد الآداب واللغات خاصة أساتذة

الأدب العربي تخصص "أدب قديم"

ونخص بالذكر الأستاذين الكريمين "بشير عروس" و"طارق

زيناي"، وكل من ساعدنا من قريب أو بعيد في إعداد هذه

المذكرة

# \*\* إهداء \*\*

أهدي هذا العمل إلى:

أبي حفظه الله ورعاه وأطال عمره

أمي حفظها الله ورعاها وأطال عمرها

أخواتي "أمال" "نبيلة" "كنزة" "شهيناز"

أخي "عبد الحليم"

زوجي العزيز وعائلته كبيرا وصغيرا

زوج أختي "هشام" وعائلته كبيرا وصغيرا

إلى رفيقات الدرب "حنان" "بثينة" "ابتسام" "هاجر" "فاطمة" "سعدية" إلى زميلتي

ومشاركتي في هذا العمل "خاليدة بريوة"

إلى كل من أعانني على إتمام هذا البحث من قريب أو من بعيد ولو بكلمة

طيبة...

أحلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ

وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ"

# إهداء

بعد الحمد والشكر لله عز وجل أهدي هذا العمل المتواضع إلى من كلله الله بالهبة والوقار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار وأرجو من الله أن يمدد عمره ليرى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار والدي العزيز "بريوة المولود".

إلى ملاكي في الحياة إلى بسمة الروح إلى من كان دعاؤها ورضاها سر نجاحي أغلى الناس أُمي الحبيبة أطل الله عمرها "كيحل ذهبية".

إلى سندي في الحياة إخوتي "عبد العالي" "ياسين" "نبيل".

إلى من شاركني أفراحي وأحزاني وتقاسمت معهن أحلى أيام حياتي : "نورة" "مسعودة" "حفيظة" "عليمة" "حنان" "سهيلة".

إلى بسمة الغد براعم الطفولة "علاء الدين" "يوسف" "رتاج" "تهال" فاطمة الزهراء".

إلى أغلى الناس لأعز صديقاتي "فلواط ابتسام"، "مزوز حنان"، "بلمرابط هاجر" "بوهالي إلهام"

إلى من تقاسمت معي التعب وساعدتني في إنجاز هذه المذكرة "بلخير أحلام" إلى كل من أضاء شمعة في دربي دتمم سعادة.

خاليدة







هتدته



يُعد أدب الرحلة من الفنون التراثية التي حظيت بمكانة مرموقة داخل الساحة الأدبية وأخذت حصة وافرة من الاهتمام لكونه وسيلة للتواصل مع الآخر إما لتوسيع آفاق المعرفة أو كشف مجهول ما، أو حباً للاستكشاف و الاطلاع، كل هذه الدوافع جعلت عيون الرحالة العرب منهم والأجانب تتجه إلى هذا الفن، ووفق هذا المنظور وياقتراح من الأستاذ الكريم قمنا باختيار موضوع دراستنا المعنون بـ "رحلة العبدري الشعرية" وللغوص في مضمار هذا البحث ارتأينا أن نطرح مجموعة من التساؤلات وهي: ما مفهوم الرحلة؟ ما أبرز دوافعها؟ وماهي أنواعها؟ ما أدبية الرحلة؟ فيما تتجلى موضوعات رحلة العبدري؟ وأخيراً إلى أي مدى وُفق العبدري في مزج رحلته الشعرية والنثرية؟ ولقد كانت لنا دوافع شجعتنا على الخوض في غمار هذا البحث أهمها: تحفيز الأستاذ المشرف "عبد الحفيظ بورايو" على الخوض في غمار هذا اللون الأدبي البكر في الجزائر...وكذا حُبنا للموضوع المقترح علينا من طرف الأستاذ ورغبتنا في متعة الدرس خاصة في الجانب التطبيقي كذلك جدة الموضوع فيما وصل إليه بحثنا.

ومعروف أن باب أدب الرحلات واسع، وهو ما فتح المجال لدراسته، فمن بين الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع: عبد الحفيظ بورايو، صورة مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، ط1، دار السويدي، أبو ظبي، الإمارات، 2009، حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب ط2، دار الأندلس، بيروت، لبنان 1983، وهيبة جرفي، الآخر في رحلة الحسن الوزان (وصف إفريقيا)، مذكرة ماجستير، المركز الجامعي ميله، قسم اللغة العربية، ميله، الجزائر، إشراف الأستاذ "عبد الحفيظ بورايو" .

وتتجلى أهداف بحثنا في ما يلي:

- الرغبة في الإلمام بجوانب الموضوع وإخراجه في صورة جديدة.
- محاولة التعرف على عادات وتقاليد وثقافة كل منطقة وأشهر علمائها.
- فتح المجال للمتلقي من أجل الاطلاع على رحلة العبدري وإثراء رصيده المعرفي والثقافي.

ولمعالجة إشكالية الموضوع اهتدينا إلى الاعتماد على المنهج التحليلي والوصفي والسردي باعتبارها المناهج الأمثل والأصلح للإلمام بالموضوع من خلال وصف الرحلة بشتى محطاتها والتعرف على مدى مصداقية الرحالة في سرد مشاهداته ودقة وصف البلدان. ولدراسة هذا الموضوع والإحاطة به قمنا بوضع خطة اشتملت على مدخل وفصلين تناولنا في المدخل لمحة شاملة عن أدب الرحلات، دواعي الرحلات، أهميتها ومدى اهتمام العرب بالرحلة مشاركة ومغاربة.

أما الفصل الأول والموسوم بـ " مفاهيم نظرية حول الرحلة " تناولنا فيه مفهوم الرحلة لغة واصطلاحاً، الرحلة في القرآن الكريم والسنة النبوية، دوافعها وأنواعها، أدبية الرحلة، وأخيراً موضوعات الرحلة، ثم عرجنا إلى الفصل الثاني والمعنون بـ "مضامين رحلة العبدري الشعرية" استهلناه بمقدمة مختصرة، ترجمة المؤلف، رحلة العبدري الشعرية، وأخيراً مقارنة رحلة العبدري الشعرية برحلته النثرية. -وبغية إنجاز هذا البحث وإتمامه-اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع خدمت موضوعنا نذكر أهمها:

-الرحلة المغربية، لمحمد العبدري النبلسي.

-أدب الرحلة في التراث العربي لفؤاد قنديل.

-صورة مدينة قسنطينة في أدب الرحلات لعبد الحفيظ بورايو.

أما عن الصعوبات التي واجهتنا فيمكننا حصرها في ما يلي: صعوبة جمع المادة العلمية الموزعة في ثنايا الكتب، أضف إلى ذلك دراستها وترتيبها بدقة داخل البحث مما تطلب منا الجهد الكبير، وكذا قلة المراجع التي تناولت أدب الرحلات خاصة في مكتبة المركز الجامعي لميلة، الأمر الذي جعلنا نعتمد على الكتب الإلكترونية.

وفي الختام نتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذنا الفاضل "عبد الحفيظ بورايو" على قبوله الإشراف على بحثنا، كما نشكره عليه كثيراً لطريقة معاملتنا وجملة النصائح والتوجيهات

التي قدمها لنا خلال مسيرة إنجاز البحث، وما قدمه لنا من إضاءات حول جوانب البحث ساعدتنا على إتمامه، فجزاه الله خيرا كثيرا، كما نشكر أساتذة المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف وكل من قدم لنا يد العون في إنجاز هذه المذكرة.

وعلى هذا فإن كل بحث يقوم به بشر، فهو خاضع للصواب أو الخطأ فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا، والله المستعان.

# مدخل

1- لمحة شاملة عن أدب الرحلات

2- دواعي الرحلات

3- أهميتها ومدى إهتمام العرب بالرحلة مشاركة و مغامرة

## 1-لمحة شاملة عن أدب الرحلات:

منذ أن دبَّ الإنسان على هذه الأرض وهو يحاول إكتشاف ما يحيط به من أسرارها بقصد التعرف والسيطرة على ما يكتنفه من الحياة، لا فرق في ذلك من حيث المبدأ بين إرتياده بقعة تجاوره من نفس الغابة التي يأوي إليها، أو غزو غابة أخرى. والرحلة في هذا المفهوم أمر طبيعي يتعلق بحياة الأفراد والأمم، ولا داعي للحديث هنا عن دور الأمم السابقة من الفراعنة والفينيقيين واليونان والرومان وغيرهم في مضمار الرحلات، وإنما نخص بالحديث دور العرب في هذا المضمار لتتعرف على تطوره و اتجاهاته<sup>1</sup>.

وابتداء من القرن الثالث عشر يبدأ طابع الرحلة في طلب العلم يطغى على نمط الرحلة كما نشاهده في رحلة أبي محمد العبدري وابن عمر عبد الله بن رشيد التشريسي، وهكذا فقد شهدت القرون التالية لابن جبیر كثيرين من الرحالة الذين أغنوا الأدب العربي وبعض العلوم الأخرى بما كتبه في رحلاتهم من أمثال عبد اللطيف البغدادي وياقوت الحموي وابن سعيد والعبدري في القرن الثالث عشر وابن بطوطة وابن خلدون ومحمد بن رشيد الفهري الأندلسي ومحمد التجاني في القرن الرابع عشر، ثم رحلة الظاهري والملك قايتباي في القرن الخامس عشر، وحتى هذا القرن فقد ظل العرب متفوقين في ميدان الرحلات إلى أن قامت حركات الاستكشاف الأوروبية، وكان العرب قد مروا بفترة من التأخر امتدت ثلاث قرون أو يزيد، عمَّ خلالها الضعف والجهل في جميع ميادين الحياة، وانصرف الكثيرون عن الحياة إلى الزهد، ولم يصلنا خلال هذه القرون شيء ذو بال من الرحلات<sup>2</sup>، فقد اقتصرنا إلى حد كبير على زيارة إسطنبول عاصمة الخلافة العثمانية أو إلى الحج وزيارة الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية، ومن أبرز هذه الرحلات رحلة عبد الله المراكشي العياشي، ورحلة عبد الغني النابلسي، ورحلة علي الجبيلي وظل هذا الجمود العام يطبق على أدب الرحلة في جملة ما

<sup>1</sup>-حسنى محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ط2، دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1983، ص ص5-6.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص14.

يطبق عليه من حياة الأمة العربية، حتى جاءت النهضة الحديثة ففتحت على أساسها أبواب أوروبا على البلاد العربية<sup>1</sup>

وراح الكثيرون من أبنائها يرحلون إلى تلك البلاد طلباً للعلم أو العمل أو السياحة أو غيرها فبدأ أدب الرحلة ينتعش، وبدأت زهوره في التفتح من جديد. وكان فيض عميم من هذا الأدب في القرنين الأخيرين، ومن أبرز أصحابه في القرن الماضي الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي وشهاب الدين الألوسي، عبد الله فكري، أحمد فارس الشدياق وسليمان البستاني<sup>2</sup>.

## 2- دواعي الرحلات:

لعل دواعي الرحلات والتأليف فيها عند العرب كانت رحلاتهم التجارية إلى بلاد العراق والشام واليمن وغيرها، ثم إن بعض الشعراء كانت لهم رحلاتهم في داخل الجزيرة وإلى خارجها. ومع أن هذه الرحلات لم يُدَوَّنْ منها شيء أكثر مما ورد في مضامين الشعر وكتب اللغة فيما بعد، إلا أنها أفادت العرب فوائد عملية جلى في فتوحاتهم التي انطلقوا فيها إلى ما جاورهم من بلاد لهم بها سابق معرفة عن طريق هذه الرحلات وغيرها من مثل رحلات عبور البدو...<sup>3</sup>

إن أدب الرحلة يشكل ثروة معرفية كبيرة ومخزوناً للقصص والظواهر والأفكار، فضلاً عن كونه مادة سردية مشوقة تحتوي على الطريف والغريب والمدهش مما تلقطه عيون تتجول وأنفس تتفعل بما ترى ووعي يُلمُّ بالأشياء ويحللها ويراقب الظواهر ويتفكر بها<sup>4</sup>.

فن الرحلات من الفنون الأدبية الراقية التي اهتم بها العرب قديماً وحديثاً، لما فيها من أخبار وغرائب ومشاهدات ومساجلات ومناظرات، عاشها مؤلفوها فكانت تستجلب القراء بفضول إلى معرفة الآخر، والبلدان البعيدة وأخبار سكانها.

<sup>1</sup> - حسنى محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، مرجع سابق، ص 15.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 15.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص ص 9-10.

<sup>4</sup> - صادق باشا المؤيد العظيم: رحلة الحبشة من الأستانة إلى أديس أبابا، (د،ط)، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات

العربية المتحدة، أبوظبي، 1896، ص 9.

### 3- أهميتها ومدى إهتمام العرب بالرحلة مشاركة ومغاربة:

عرفت الرحلة في الأدب العربي منذ فجر النهضة كفنٍ أدبي بعدما كانت مجرد ممارسة في الجاهلية تجارة أو بحثاً عن كلاً أو ماء.

وقد بدأ العرب بعد الفتح الإسلامي يتطلعون إلى ما وراء الجزيرة العربية بل تمكن منهم الشوق إلى معرفة مختلف الأوطان، ما فتح منها وما لم يُفتح، قرب أو بعد. لم تلبث الرحلة حتى صارت فناً عربياً أصيلاً في النثر العربي بسماته التاريخية والجغرافية، واهتمامه بحياة الناس وتقاليدهم وأنماط معيشتهم، بمضمونه الفكري الاجتماعي وأسلوبه الأدبي المتميز غالباً عما سواه.

يبرز التنوع في الرحلات لا بمستواها الأدبي فحسب، بل بمنحائها التاريخي أو الجغرافي أو الإثنوغرافي في قوالب يتآزر فيها الجانب التعليمي بالإمتاع الأدبي.

إن فن الرحلة في أصله له اتصال متين بالجغرافية، إذ أن الكتب الأولى المؤلفة في هذا العلم كانت تتخذ صبغة الرحلة، وذلك أنّ الجغرافي كان أولاً يطوف البلاد التي يودُّ التكلم عنها ويخترق مسالكها، يقف بنفسه على أحوالها ثم يضع بعد ذلك الكتابة، لذلك سُميت جل التأليف الجغرافية التي كتبت في القرون الأولى "المسالك والممالك" وصارت هاتان الكلمتان تطلقان على علم الجغرافية عند العرب، كما سموه أيضاً علم "تقويم البلدان"، والفرق بين كتب الرحلات وكتب المسالك والممالك هو أن مؤلف الرحلة يذكر فيها ما يتعلق بنفسه، فيُنبه مثلاً على تاريخ خروجه من وطنه، وعلى الأحوال التي أحاطت بسفره مع الإشارة لأسبابه، ويُثبت كل ما يقع له من حوادث أثناء غيبته<sup>1</sup>.

أما مؤلف المسالك والممالك فإنه يكتفي بذكر المسافات ويوصف البلاد التي يمر بها من الناحية الزراعية والتجارية، ويوصف أحوال الممالك السياسية والعمرانية ولا يتعرض لنفسه إلا في القليل.

<sup>1</sup> - رحلة ابن زكور الفاسي المسماة: نشر أزهار البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان (د.ط)، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الحراش، الجزائر، ص ص 9-10.

وقد قطع فن الرحلة في الأدب العربي مسيرة طويلة منذ انطلاقة الأولى على يد أبي العباس أحمد بن يعقوب المعروف باليعقوبي في كتابه "البلدان". يأتي البيروني في فترة زخرت فيها الرحلة بإبداع وتطور كحركة باتت ذات إستقلالية كنوع أدبي، وسرعان ما عم هذا اللون منطقة الغرب الإسلامي، فيستلم المشعل الإدريسي بكتابه المتميز المعروف "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" لغزارة مادته في جغرافية المغرب وصقلية.

جاءت بعده شخصية أخرى، هو ابن جبير بعمله المعروف "رحلة ابن جبير"، وقد خطت الرحلة بعده خطوات متقدمة خصوصا برحلة ابن بطوطة الذي عبر أوطانا وقارات فإحتلت رحلته أهمية كبيرة باتساع رقعتها أولا وبمستواها الأدبي ثانيا، وبما حظيت به من اهتمام عالمي في النهاية<sup>1</sup>.

مع أن مادة الرحلات قد لا ترتقي إلى مستوى الفن القائم بذاته كفن القصة، أو الشعر أو المسرحية، أو المقالة الأدبية مثلا، إلا أنه في أدب الرحلات تجتمع أساليب هذه الفنون وموضوعاتها كلها دون أن تضبطه معاييرها أو أن يخضع لمقاييسها.

الرحلة نوع من الحركة، وهي أيضا مخالطة الناس والأقوام، وهنا تبرز قيمة الرحلات كمصدر لوصف الثقافات الإنسانية، ولرصد بعض جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة، لذا كان للرحلات قيمة تعليمية من حيث أنها أكثر المدارس تثقيفا للإنسان وإثراء لفكره وتأملاته.

إن الرحلة قديمة قدم الإنسان ذاته، إذ عرفها منذ العصور الغابرة حتى وقتنا هذا، وإن اختلفت دوافع الرحيل، وتباينت وسائل السفر، وتنوعت مادة الرحلة، ومع ذلك فإن كتابات الرحالة أيّا كانت توجهاتهم الفردية ونزعاتهم الشخصية، تصور إلى حد كبير بعض ملامح حضارة العصر الذي عاشوا فيه، كما تصف الكثير من عناصر ثقافة البلدان التي ذهبوا

<sup>1</sup> - رحلة ابن زاكور الفاسي المسماة: نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان، من فضلاء أكابر الأعيان، مرجع سابق، ص ص 9-10.

إليها، وأحوال الشعوب التي اختلطوا بها، سواء كانت الرحلة فعلية أو من نسج الخيال، مثل رحلات السندباد البحري السبع التي وردت في حكايات ألف ليلة وليلة<sup>1</sup>.

دعا الإسلام إلى الرحلة، حيث بدأ الرحالة محمد السنوسي كتابه "الرحلة الحجازية" بما سماه " أنموذج السفر " وأورد فيه من الآيات القرآنية ما ينبه إلى فضيلة السفر والدعوة إليه، كتب يقول: " لا يخفى أن الله-جلت حكمته- لم يجمع منافع الدنيا في أرض واحدة، بل فرق المنافع والجهات أحوج بعضها إلى بعض، ولذلك كانت الأسفار مما تزيدنا علما بقدرة الله وحكمته، وتدعو إلى شكر نعمته، والمسافر يجمع العجائب، ويكسب التجارب، ويجلب المكاسب". وفي القرآن آيات كثيرة تنبه على فضيلة السفر وتدعو إليها<sup>2</sup>، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (سورة الملك، الآية 15)، وقال تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ (41) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِن مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (42)﴾ (سورة يس، الآية 41)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (سورة الإسراء، الآية 70)، وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْأَخْرَى إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة العنكبوت، الآية 20).

في القرن العاشر الهجري (16م)، عادت الرحلة للإنتعاش، فاستأنفت منطقة المغرب العربي الإسلامي دورها في فن الرحلة بأعلام مثل: أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر المعروف بالعيشي في رحلته المعنونة: "ماء الموائد" المعروفة بـ: "الرحلة العياشية"، بحيث يعتبر نموذجا لجميع مؤلفي تلك الفترة الذي لم يطرأ فيها أي تقدم في الميدان، وينتهي القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجري (18 و19م) برحلات ابن حمادوش، والورثاني، وأحمد الناصري، وابن عمار، وغيرهم وهم أكثر.

<sup>1</sup> - حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، (د،ط)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989، ص ص 13-15.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص ص 82-83.

تفوق المغاربة في هذا الفن ووضعو فيه مؤلفات بديعة طبع بعضها وأكثرها لا يزال مخطوطاً، ومنها ما تعتبر ضائعة، ولا تعرف إلا بالنقل عنها في كتب التاريخ والأدب والتراجم<sup>1</sup>.

رحلات الحج إلى مكة المكرمة من الموضوعات التي احتلت مكاناً بارزاً عند المسلمين وأنتجت الشعوب الإسلامية أدباً وفيراً في هذا الفن بالعربية والفارسية والتركية والأردية وغيرها من اللغات الإسلامية، فصار يعرف بالرحلات الحجازية، وسرعان ما اشتد عوده، وتكونت ملامحه، وتأسلت أصوله وقواعده، وظهر فيه عدد وفير من هذه الرحلات التي يصعب على المرء أن يحصيها عدداً، لأن أهم بواعث الرحلة وأعظمها شأنًا عند المسلمين هي تأدية فريضة الحج إلى بيت الله الحرام.

لقد ظلت مكة المكرمة الملاذ الآمن للشعوب الإسلامية يشدون الرحال إليها ليعبوا من فيض علمها الوافر، حيث كان الحرم المكي ولا يزال جامعة إسلامية مفتوحة لعلماء العالم الإسلامي، ما يؤكد على عالمية مكة المكرمة وأنها عاصمة الثقافة الإسلامية في الماضي والحاضر والمستقبل<sup>2</sup>.

إلى جانب السعي في طلب العلم والإستفادة من العلماء، كان الحج من أهم العوامل التي دفعت بالمسلمين من كل فج عميق وعلى كل ضامر إلى الرحلة والانتقال، فالحج كان ولا يزال، رحلة يتشوق إلى أدائها كافة الناس وليس علماءهم أو فقهاؤهم فقط، ونتيجة ذلك فقد اكتسبت رحلة الحج صفة تراثية شعبية. وتحكي لنا كتب التاريخ ومذكرات الرحالة أنفسهم أن العديد من الحكام أو السلاطين، قد أقاموا على الطريق الكثير من المنشآت لخدمة الحجاج وعهدوا إلى الجنود تأمين طريق الحج و حماية سالكيه، وعن رحلة الحج كتب محمد محمود الصياد: " إن الحجاج كانوا يجتمعون في قوافل تبدأ صغيرة ثم تنمو كلما تقدم بها الطريق

<sup>1</sup> - رحلة ابن زكور الفاسي، مرجع سابق، ص 11.

<sup>2</sup> - جلال السعيد الحنفاوي، رحلات الحج الهندية إلى مكة المكرمة وأثرها في مسلمي شبه القارة الهندية، (د.ط)، الجامعة المصرية للثقافة الإسلامية، ألماتي، قازاقستان، 1426هـ، ص 105.

بما ينظم إليها من وفود، حتى يصبح في النهاية للعراق حججه، وللشام حججه وإفريقيا حججها. وتسير القافلة في ألفة ونظام وتعاطف شامل، يحميها جنود الحكام ويرحب بها سكان المدن في معظم الأحيان، ويزداد الترحيب كلما زاد في القافلة عدد العلماء أو رجال الدين<sup>1</sup>.

اعتنى العلامة القاسمي بالرحلة وعرف ما لها من فوائد عديدة، يقول العلامة ابن خلدون: " إن الرحلة في طلب العلم ولقاء الأساتذة مزيد كمال في التعلم " ثم قال: " فالرحلة لا بد منها في العلم لاكتساب الفوائد والكمال بقاء المشايخ والتلقي عن الرجال"<sup>2</sup>.

فطلب الحج إلى مكة وزيارة قبر الرسول شكلا عاملين قويين وأساسيين، أولا لإزدهار الرحلة وشيوعها بين المسلمين، وثانيا لتسهيل أمور المسافرين وتوفير سبل الراحة والمعيشة لهم على طول الطريق، الأمر الذي أدى إلى ازدهار خطوط السير بين مكة ومختلف أنحاء العالم الإسلامي، علاوة على تأمين الطرقات بجعلها سالكة ومسهلة لأي ترحال أو سفر، ولا يقتصر العامل الديني على تسهيل أداء فريضة الحج فقط، بل يتعداه إلى الإهتمام بالجغرافيا الفلكية لتحديد بداية الصوم ونهايته، وتحديد مواقيت الصلوات الخمس التي تتفاوت بين منطقة وأخرى طبقا لإختلاف العروض والأطوال.

إن الرغبة في طلب العلوم ومنها العلوم الشرعية بحواضرها في العالم الإسلامي، كالقاهرة ودمشق ومكة وبخارى، كانت من الأسباب الأخرى التي أدت لإزدياد الحاجة إلى الرحلة علاوة على إزدياد البعثات الدبلوماسية وتبادل السفراء بين الملوك والأمراء.

ويجب ألا نهمل الأسباب الفردية والشخصية للمسافرين الذين كانوا يطلبون الرحلة للذة شخصية أو سعيا في سبيل الرزق<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - حسين محمد فهيم، مرجع سابق، ص 80.

<sup>2</sup> - جمال الدين القاسمي دمشقي، رحلتي إلى المدينة المنورة، (د.ط)، تحقيق محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، ص 11.

<sup>3</sup> - شادي حكمت ناصر: ابن بطوطة وصناعة أدب الرحلة: نسيج الواقع والخيال، (مذكرة ماستر)، كلية العلوم والآداب، الجامعة الأمريكية في بيروت، بيروت، لبنان، حزيران 2003، ص ص 53-54.

إن الرحلة بأنواعها الدينية والعلمية والسياحية والاضطرارية، مثلت طريقا للمجد وشكّلت سبيلا للشهرة والتألق في مجتمع ظلت أنظاره وقلوبه وأفئدته مرتبطة بالمشرق كرمز للصفاء والطهارة والنقاء وعلامة للجذور والأصول وكمهج للشريعة والحقيقة.

# الفصل الأول

## مفاهيم نظرية حول الرحلة

المبحث الأول: تعريف الرحلة

المبحث الثاني: دوافع الرحلة

المبحث الثالث: أنواع الرحلات

المبحث الرابع: أدبية الرحلة

المبحث الخامس: موضوعات الرحلة

المبحث الأول: مفهوم الرحلة:

## 1 مفهوم الرحلة في اللغة:

تلقى مادة رحل في شتى المعاجم العربية مجالا رحباً ونصيياً وافرا من الإهتمام والعناية بهذا المصطلح، ونظرا لأهميته نجد أخذ النصيب الكبير من الشرح والتفصيل<sup>1</sup>.

لقد جاء المصطلح في لسان العرب لابن منظور: « رحل: الرّحل: مركب البعير والناقة وجمعه أرحل ورحال، قال طرفة:

جازت البيدَ إلى أرحلنا      آخر الليل، بيعفور خدر

يقال ارتحل البعير رحلة: سار فمضى، ثم جرى ذلك على المنطق حتى قيل ارتحل القوم عن المكان ارتحالا، ورحل عن المكان يرحل وهو راحل من قوم رُحَل: انتقل والترحل والارتحال: الانتقال، وهو الرّحلة والرّحلة، والرّحلة اسم للارتحال للمسير، يقال: دنت رحلتنا. قال: والترحل ارتحال في مهلة، ويفسر قول زهير:

ومن لا يزل يسترحل الناس نفسه      ولا يُعفها يوما من النُّل، يندم<sup>2</sup>

في معجم العين جاءت الرحلة من الفعل رَحَلَ، الرّاحلة المركب من الإبل ذكرا كان أو أنثى ورَحَلْتُ بغيري أرَحَلُهُ رحلا، وارتحل البعير رحلة، أي سار فمضى ثم جرى في المنطق حتى يقال: ارتحل القوم.

الرحيل اسم الارتحال للمسير، والمرتحل: نقيض المَحَل، قال الأعشى:

إنَّ محلا وان مُرتحلا

يريد: إنَّ ارتحالا وإنَّ حُلولا.

وقد يكون المرتحل اسم الموضع الذي تحل فيه.

<sup>1</sup> - أشواق قواري وسناء دغة، العادات والتقاليد في الرحلات الغربية، (مذكرة ماستر)، المركز الجامعي ميلية، قسم اللغة العربية، ميلية، الجزائر، الأستاذ عبد الحفيظ بورايو، 2016، ص 20.

<sup>2</sup> - ابن منظور الاقريقي المصري، لسان العرب، مادة "رحل"، ط1، تح: خالد رشيد القاضي، دار صبح، بيروت، لبنان، 2006، ص ص 163-166.

وترحل القوم: وهو ارتحال في مهلة. ورحل الرجل: منزله ومسكنه، يقال: إنه لخصيبُ الرَّحْل. ورحلته بمكروه أَرْحَلَهُ أي: ركبته إليه. والمُرْحَل: ضرب من برود اليمن، سُمي به لأن عليه تصاوير رَحْل وما يشبهه. وقال في المُرْحَل:  
على أثرينا ذيل مِرْط مُرْحَلٍ<sup>1</sup>

جاء المصطلح في المعجم الوسيط بنفس المعنى: رحل عن المكان رحلا ورحيلا، وترحالا ورحلة: سار ومضى، ترحل: رحل والدابة: ركبها. ترحله: ركبه بمكروه. استرحله أي سأله أن يرحل له وطلب منه راحلة. والرَّحالة: السرج. الرَّحال: صانع السرج. العرب الرَّحَّال: الذين لا يستقرون في مكان ويحلُّون بماشيئهم حيث يسقط الغيث وينبت المرعى. الرَّحالة الكثير الرحلة والرَّحَلُ: العرب الرَّحْل: الرَّحَّال. والرَّحْلُ ما يوضع على ظهر البعير للركوب، وكل شيء يعد للرحيل من وعاء للمتاع وغيره.

الرحلة: الإرتحال، جمع رَحَل، وفي التنزيل العزيز: « رحلة الشتاء والصيف». والرُّحْلة: ما يرتحل إليه، يقال الكعبة رُحْلة المسلمين، وأنتم رُحْلتِي وعالم رُحْلة: يرتحل إليه من الآفاق.<sup>2</sup>

جاء في تاج العروس: « ارتحل القوم عن المكان ارتحالا» إذا انتقلوا كترحلوا واسم الرُّحْلة بالضم والكسر، ويقال: إنه لذو رحلة إلى الملوك، ورُحْلة حكاة اللحياني، أي ارتحل.<sup>3</sup> وورد معنى الارتحال في أساس البلاغة للزمخشري أنه رحل عن البلد: ظعن عنه وارتحل وترحل، رحلته أنا وغدا يوم الرحيل والرحلة، مكة رُحْلتِي: وجهتي التي أريد أن أرتحل إليه.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج3، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (د.ت)، ص ص 207-208.

<sup>2</sup> - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، جمهورية مصر العربية، مكتبة الشروق الدولية، 2004، ص ص 334-335.

<sup>3</sup> - بدرن صليحة وبوقاعدة نعيمة، ميلية في النصوص الرحلية العربية الحسن الوزان نموذجاً، (مذكرة ماستر)، المركز الجامعي ميلية، قسم اللغة العربية، ميلية، الجزائر، الأستاذ عبد الحفيظ بورايو، 2017، ص 14.

<sup>4</sup> - نصيرة حميروش، جمالة الارتحال في تائية ابن الفارض ( شهادة ماستر)، المركز الجامعي ميلية، قسم اللغة العربية ميلية، الجزائر، الأستاذة زهيرة بوزيدي، 2015، ص6.

في معجم مقاييس اللغة العربية لابن فارس: « رحل: الرء والحاء واللام أصل واحد يدل على مُضي في سفر، يقال: رحل يرحل رحلة (...) والرحلة الإرتحال (...) ورحَّله إذا أضعنه من مكانه<sup>1</sup>.

الرحلة لغويا من يرحل رحلاً ورحيلاً وترحالاً، ذهب ورحَّله من بلده: أخرج منه. وارتحل القوم انتقلوا، والراحلة الناقة الصالحة لأن تُركب، والرحلى مركب البعير، والرحل أيضاً ما يستصعبه المسافر من الأوعية، جمعه رحال<sup>2</sup>.

الرحلة في اللغة الترحيل والارتحال بمعنى الإشخاص والإزعاج، يقال رحل الرجل إذا سار، فالرحلة هنا بمعنى السير والضرب في الأرض، وجاءت الرحلة بمعنى الإرتحال أي الانتقال من مكان لآخر.

جاءت الرحلة أيضاً بمعنى الجهة التي يقصدها الإنسان، الرحلة الإرتحال، والرحلة بالضم الوجه الذي تأخذ فيه وتريده، تقول أنتم رحلتي أي الذين أرتحل إليهم، كما تطلق على السفرة الواحدة.

الشخص الذي قام بالرحلة قد ترك موطنه وانتقل إلى مكان آخر، وسافر من موطنه وقصد جهة أخرى غير موطنه وسار إليها، لذا كان لفظ رحلة أعم وأشمل ما يطلق على المسافر من مكان آخر، فالرحال صفة مشتقة من الفعل الذي قام به وهو الرحلة<sup>3</sup>.

الرحلة عند ابن سيده: الرُّحْلة السفرة الواحدة، والرحيل اسم ارتحال القوم للمسير،

قال: أما الرَّحِيلُ فدُونََ بَعْدِ غَدٍ فمتى تقول: الدار تَجْمَعُنَا؟

<sup>1</sup> -جميلة روياش، أدب الرحلة في المغرب العربي، (مذكرة ماستر)، جامعة محمد خيضر، قسم الآداب واللغة العربية بسكرة، الجزائر، الأستاذ أحمد بن لخضر فورار، 2015، ص 7.

<sup>2</sup> - أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، (د.ط)، دار البيان العربي، جدة، السعودية، (د.ت)، ص 7.

<sup>3</sup> - ينظر: عواطف محمد يوسف النواب، الرحلات المغربية والأندلسية، (د.ط)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996، ص ص 40-41.

الرحيل القوي على الإرتحال والسير، والأنثى رَحِيلَةٌ<sup>1</sup>.

إنّ فمعاجم اللغة كلها تُجمع على أنّ الرحلة هو الإنتقال من مكان إلى آخر، وبهذا المعنى يكون العديد من المغاربة وغيرهم من البشر قديما، قد أنجزوا رحلات لا تعد ولا تحصى، لأن الحركة والتنقل من مقتضيات الحياة وطبيعة البشر، إلا أنه ليس كل من ارتحل قد دَوّن رحلته<sup>2</sup>.

**2- الرحلة في الاصطلاح:** وبعد التطرق إلى مفهوم الرحلة في اللغة، نأتي إلى مفهوم الرحلة من الناحية الاصطلاحية.

عرف الإمام الغزالي الرحلة والسفر بأنهما: « نوع حركة ومخالطة أو: نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة».

وعرفها بطرس البستاني بأنها: « انتقال واحد- أو جماعة- من مكان إلى مكان آخر لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة»<sup>3</sup>.

نزلت الرحلة في الأدب الحديث منزلة رفيعة، وأصبحت فنا من الفنون الشائعة في معظم بلدان العالم، وقد ساعد على ازدهارها اختلاط الشعوب، وسهولة المواصلات وحب الإطلاع ومعرفة ما في العالم من عادات وأخلاق.

الإثارة في الرحلة متأنية من الوصف الطريف للواقع، والسرد الفني للمغامرة الإنسانية والعواطف المحركة للبشر، ونابعة أيضا من أنواع الشخصيات التي تبرزها<sup>4</sup>.

فالرحلة هي الجهة التي يقصدها المسافر، يقال مكة رُحلتنا، وهو عالم رُحلة أي يرحل إليه<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - وهيبة جرفي، الآخر في رحلة الحسن الوزان ( وصف افريقيا)، (مذكرة ماستر)، المركز الجامعي ميله، قسم الآداب واللغة العربية، ميله، الجزائر، الأستاذ عبد الحفيظ بورايو، 2014، ص 5.

<sup>2</sup> - جميلة روياش، مرجع سابق، ص 7.

<sup>3</sup> - ناصر عبد الرزاق الموفاي، الرحالة في الأدب العربي، (د،ط)، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1995، ص 24.

<sup>4</sup> - جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ط1، دار العلم، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص ص 121-122.

<sup>5</sup> - أحمد رمضان أحمد، مرجع سابق، ص 7.

عرفها صلاح الدين الشامي بأنها: «إنجاز فردي أو جماعي لما يعنيه اختراق حاجز المسافة وإسقاط الفاصل بين المكان والمكان الآخر، ويتأتى هذا الإنجاز من أجل هدف معين، ويجاوب هذا الهدف إرادة الإنسان». فالرحلة إذن لا تكون إلا إذا كان هناك دافع معين، سواء كان ذلك الدافع ذاتيا يرتبط بالرحلة فقط أو يتعلق بشؤون الأمة.

أما فالح الكيلاني فقد عرفها بقوله: «الرحلة ما هي إلا جزء من حركة الحياة على الأرض وقد لا يتجاوز مسافة قصيرة، وقد تمتد وتطول حتى تغطي أطول المسافات بين المكان والمكان الآخر»<sup>1</sup>.

الرحلة كتابة يحكي فيها الرحالة أحداث سفره وما شاهده وعاشه، مازجا ذلك بإنطباعاته الذاتية حول المترحل إليه، وإنجاز الرحلة-كتابتها- يتطلب أن يكون الرحالة ذا مستوى ثقافي معين يؤهله لنقل أحداث سفره إلى كتابة، والرحلة بهذا المعنى بما هي كتابة وخطاب حال اشتغال واهتمام الباحثين بها.

إن معنى الرحلة كتابة، وهو ما يسميه الباحث سعيد يقطين: "خطاب الرحلة"، ويعرفه بأنه عملية تليظ لفعل الرحلة (...) ويرى أن خطاب الرحلة يتماشى مع الرحلة وعوالمها ويسعى إلى مواكبتها من البداية إلى النهاية<sup>2</sup>.

يقتضي التأليف في الرحلة ثقافة واسعة ودقة في الملاحظة والتقاط الملامح المعبرة والمشاركة في عدد كبير من المعارف، لإحتواء الرحلة على معارف وعلوم متعلقة بالتاريخ والجغرافية والفلسفة والاجتماع والأدب وتفرض الأناقة في تخير المفردات وصياغة العبارات وتنسيق الفصول<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - بدرن صليحة وبوقاعدة نعيمة، مرجع سابق، ص ص 15 - 16.

<sup>2</sup> - جميلة روياش، مرجع سابق، ص 8.

<sup>3</sup> - جبور عبد النور، مرجع سابق، ص 121.

## 3 الرحلة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

لقد حملت لفظة "رحلة" معنى واحداً بألفاظ مختلفة، فجاء ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية، حيث أولاهما الإسلام عناية فائقة، لما تحمله من فوائد جمة ترجع على الفرد بالنفع والعتاء.

## أ - الرحلة في القرآن الكريم:

وردت لفظة "رحلة" في القرآن الكريم في العديد من المواضع بألفاظ متعددة تخلص في نهاية الأمر إلى معنى واحد، يقول الله - عز وجل - في سورة قريش: «لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2)» (سورة قريش، الآية 2)، حيث تتحدث السورة الكريمة عن رحلة قريش التجارية المنتظمة بحسب فصول السنة.

فعندما ظهر الإسلام وأطل على الجزيرة العربية نوره، كان القرآن الكريم معجزة الإسلام الكبرى وكلمة الله إلى البشر كافة دعياً في مواضع عديدة إلى السفر والترحال والضرب في الأرض<sup>1</sup>، نذكر ذلك في قوله - سبحانه -: « قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ (سورة الأنعام، الآية 15) » ويقول: « هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامشُوا فِي مَنَاقِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ » (سورة الملك، الآية 15)، أي امشوا في جوانبها وطرقها، وسافروا في أنحاءها، وكلوا مما رزقكم الله في الأرض<sup>2</sup>.

ترد كلمة الفلك في عدة آيات بما يدل على أن العرب كانوا على علم بها، لأنهم صنعوا السفن وأبحروا وتاجروا واصطادوا من خيرات البحر<sup>3</sup>. يقول تعالى: « رَبُّكُمُ الَّذِي يُرْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (سورة الإسراء، الآية 66). » ويقول أيضاً « إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ » (سورة البقرة، الآية 164) ويقول أيضاً « وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ

<sup>1</sup> - فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ط2، مكتبة الدار العربي للكتاب، القاهرة، مصر، 2002، ص29.

<sup>2</sup> - أشواق قواري وسناء دعة، مرجع سابق، ص 24.

<sup>3</sup> - فؤاد قنديل، مرجع سابق، ص29.

لَكُمْ الْأَنْهَارَ» (سورة إبراهيم، الآية 32). «وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ (سورة يس، الآية 41).»

وهكذا توجه الله عز وجل بدعوات صريحة للمسلمين من أجل السعي في الأرض والسير في البر، وركوب الفلك وخوض البحار، والانتفاع بها تجارة أو صيدا، وقد كانت تلك الدعوات تشجيعا لهم على تحمل مشاق السفر، انتفاعا- في البداية- بالخيرات ثم بعد ذلك تدريبا على حمل الرسالة ونشر الدعوة، ولن تبلغ الرسالة كافة الخلق إلا بالسفر وقطع المسافات والطواف بالأمصار شرقا وغربا<sup>1</sup>.

### ب- الرحلة في السنة النبوية الشريفة:

لقد ورد في السنة النبوية الشريفة الكثير من النصوص التي تحث على الرحلة وتشجع عليها، وقد دعا الرسول-صلى الله عليه وسلم-الناس إلى طلب العلم ولو في الصين، فأقبل الرجال والنساء على طلب العلم أينما كان، ثقة وإيمانا بأن من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، تلبية للدعوة الكريمة: «خيركم من تعلم العلم وعلمه».

قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «من خرج من بيته في طلب العلم، فهو في سبيل الله حتى يرجع» وفي خبر آخر: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة»<sup>2</sup>. وفي هذا الحديث تشجيع من الرسول الكريم على الرحلة في سبيل العلم للإستزادة والإفادة.

وقد كانت الرحلات في زمن الرسول محدودة، لأنهم كانوا في شغل بالرسالة وإرساء قواعدها وتثبيت أقدامها في الجزيرة العربية أولا، ومع ذلك فيمكن اعتبار الهجرة الأولى التي قام بها نفر من الصحابة إلى الحبشة على رأسهم جعفر ابن أبي طالب-رضي الله عنه- رحلة، وكذلك الهجرة الثانية، وهي الهجرة الكبرى التي خرج بها الرسول-صلى الله عليه

<sup>1</sup>- فؤاد قنديل، مرجع سابق، ص30

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص ص31-32.

وسلم- ومعه أبو بكر من مكة إلى المدينة حماية للدين الجديد ودعما، فإنها تعد رحلة أيضا لكن الرحلات بكافة أشكالها تعددت في عهد الخلفاء الراشدين<sup>1</sup>.

لقد نهى الرسول الكريم أن يسافر الرجل وحده قال: « الثلاثة نفر» وقال أيضا: « وإذا كنتم ثلاثة في السفر فأمرّوا أحدكم». كما حث أن يودع الرجل الرفقاء والأهل، وقد روي زيد بن أرقم عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: « إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه فإن الله تعالى جاعل له في دعائهم البركة» وقال أيضا: « زوّدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك إلى الخير حيث توجهت»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- فؤاد قنديل، مرجع سابق، ص 32.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص ص 36-37.

## المبحث الثاني: دوافع الرحلة

لقد عرف العرب الرحلات منذ أزمنة قديمة تعود إلى ما قبل الإسلام، حيث كانت حياتهم تقوم على الحَلِّ والترحال، إذ لا يكاد يستقر بهم المقام في منطقة حتى يرحلوا عنها إلى أخرى بحثاً عن الكلاً والماء، وإلى جانب ذلك أصبحت الرحلة عنصراً أساسياً من عناصر القصيدة الجاهلية.

تحدثنا كتب الشعر الجاهلي وتراجم الشعراء عن رحلات بعض الشعراء داخل الجزيرة العربية وأخارجها، إلا أنها لم تدوّن على نحو أدب الرحلة كما نعرفه، وإنما وصلتنا ضمن مضامين الشعر الجاهلي أو ضمن تراجم بعض الشعراء<sup>1</sup>.

لما جاء الإسلام وتوهج نور الدعوة الإسلامية، أخذ المسلمون يجوبون البلاد وانداحوا في أرجائها وميادينها، جهادا في سبيل الله وإعلاء كلمته، ففاق العرب الأمم التي سبقتهم فيما خلفوه من آثار في ميدان الرحلات، وساعد على ذلك اتساع رقعة الدولة الإسلامية، فلقد كانت رحلة العرب المسلمين في فتوحاتهم الكبرى من الرحلات الهامة التي امتدت لتشمل أصقاعا واسعة من الأرض (...) ما يؤكد الخبرة البرية والبحرية والجغرافية للعرب وغيرهم من الشعوب التي أسلمت<sup>2</sup>.

إن الرحلات من أوسع أبواب المعرفة والثقافة الإنسانية لكشف المجهول والوصول إلى الغاية ومعرفة الحقيقة، فقد فطر الله سبحانه وتعالى الإنسان على البحث المستمر عن الحقيقة (...) والتعرف إلى هذه الدنيا ومظاهر الحياة فيها، فسلك فجاج الأرض وتردد بشكل كبير على البلدان وعشق الرحلات<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - نوال عبد الرحمن الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية، ط1، دار المأمون، عمان، الأردن، 2007، ص 17-18.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 20.

<sup>3</sup> - بلال سالم طحيمر الهروط، صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية والمغربية، (د،ط)، عمان، الأردن، 2012، ص 15.

إن الإنسان العربي متعطش بطبعه لمعرفة العالم، فهو شغوف بالذات لرصد تفاصيل المناسبات والتواريخ والعجائب، ويمكن أن نعد كتب الرحلات تدوينا دقيقا للمشاهد والملاحظات<sup>1</sup>.

بهذا بلغت الرحلات ذروتها وارتفع شأنها وقيمتها خاصة خلال فترة الفتوحات الإسلامية وما تلاها من عصر الإستقرار والمعرفة والحضارة<sup>2</sup>.

للرحلة العربية دوافع تحركها فهي إما ذاتية، وتعد الأساس الذي تبنى عليه الرحلة بمعنى "الضرورة الذاتية التي تدفع الإنسان للرحيل"، ثم تأتي بعد ذلك "الأسباب الظاهرية والعامية" لتكون مبررا مقبولا للقيام بهذه الرحلة<sup>3</sup>، ويمكن إجمال هذه الدوافع فيما يأتي:

1- **الضرورة:** لقد شغف الإنسان بالرحلة وارتبط بها، لكن هذا الإرتباط قد يتعرض لعارض يدفعه لهجر وطنه ومغادرته بحثا عن الطعام أو هربا من مُصيبة كظلم الحاكم، أو يأسا من المجتمع وما يدور فيه من ظروف اجتماعية قاسية، فقد ارتحل ابن سعيد المغربي طلبا للعلم والحج إلى المشرق يقول:

أصبحتُ أعترض الوجوه ولا أرى	ما بينها وجها وجها لمن أدريه
عودي على بدئي ضلالا بينهم	حتى كأني من بقايا التيه
ويح الغريب توحشت أَلحاظه	في عالم ليسوا له بشبيهه <sup>4</sup>

2 **أداء فريضة الحج:**

شكل العامل الديني السبب الرئيسي والأبرز لجل الذين قصدوا المشرق الإسلامي لزيارة الأماكن المقدسة وأداء فريضة الحج التي فرضها الله على عباده في حال الإستطاعة، قال تعالى: « **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا** » (سورة آل عمران، الآية 97)،

<sup>1</sup>- بلال سالم طحيمر الهروط، مرجع سابق، ص 27.

<sup>2</sup>- نوال عبد الرحمن الشوابكة، مرجع سابق، ص 21.

<sup>3</sup>- بدرن صليحة وبوقاعدة نعيمة، مرجع سابق، ص 4.

<sup>4</sup>- بلال سالم طحيمر الهروط، مرجع سابق، ص 29.

وقال «أَدْنُ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ» (سورة الحج، الآية 27).

تطلب هذا العامل-أيضا- زيارة قبر الرسول-صلى الله عليه وسلم- والمزارات الدينية كالمسجد الأقصى، وقبور الأنبياء والصحابة، وشكل هذا العامل الباعث الأقوى على القيام بالرحلة حيث يعد الحج من أبرز الوشائج التي ربطت بين المشرق والمغرب، فهاهو ابن جبير يصف رحلته إلى الديار المقدسة بقوله:

إِيكَ إِلَيْكَ نَبِيَّ الْهُدَى      رَكِبْتُ الْبَحَارَ وَجَبْتُ الْقَفَارَا  
وَفَارَقْتُ أَهْلِي وَلَا مَنَةَ      وَرُبَّ كَلَامٍ يَجْرُ اعْتَدَارَا

مما دفعه إلى الخروج في الرحلة إلى المشرق هو أداء فريضة الحج وزيارة الأماكن المقدسة وسماع العلماء<sup>1</sup>. وقد سجل النابهون من هؤلاء الحجاج مشاهداتهم وارتساماتهم وأحاسيسهم وكذا الطرق والدروب التي مروا بها وسلكوها والأحداث التي صادفوها في مصنفات عرفت بكتب الرحلة، وليس من شك أن مدونات شاهد الرؤيا أصدق قبلا وأقوى تأثيرا ممن سمع أو قرأ أو استنبط، وكان الحاج يجني من رحلته إلى الحجاز فضلا عن تأدية فريضة الحج، فوائد جمّة، منها الالتقاء بمعظم علماء وفقهاء العالم الإسلامي ومنها المجاورة<sup>2</sup>.

فالحج من أهم بواعث الرحلة لما كان يتمتع به المجتمع المغربي المسلم من تمسك بالقيم الروحية، فكان أقصى أمني المسلم أن تتاح له فرصة زيارة قبر الرسول الكريم، فكان يتحمل المشاق والأخطار في الطريق، إضافة إلى مشاعر الغربة والبعد عن الأهل والأحباب، وكل ذلك عن رغبة وطيب خاطر<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - بلال سالم طحيمر الهروط، مرجع سابق، ص ص 30-31.

<sup>2</sup> - أحمد رمضان أحمد، مرجع سابق، ص 13.

<sup>3</sup> - علي إبراهيم كردي، أدب الرحل في المغرب والأندلس، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق سوريا، 2013، ص 12.

بالإضافة إلى الحج، الهجرة، وأولها هجرة بعض المسلمين إلى الحبشة فرارا بدينهم من اضطهاد قريش، والهجرة الثانية هجرة الرسول-صلى الله عليه وسلم-وأصحابه-رضوان الله عليهم-إلى المدينة<sup>1</sup>.

فقد ارتحل ابن سعيد المغربي طلبا للعلم والحج إلى المشرق، ولكن هيهات أن تنسيه الرحلة الأندلس وأن يسلوها، فقد قال: « ولما قدمت مصر والقاهرة أدركتني فيها وحشة وأثار لي تذكر ما كنت أعهده بجزيرة الأندلس من المواضع المبهجة، التي قطعت بها العيش غضا خصبيا وصحبت بها الزمان غلاما ولبست الشباب قشيبا، فقلت:

هذه مصر فأين المغرب؟ من نأى عني دموعي تسكب  
مع شمس طلعت في ناظري ثم صارت في فؤادي تغرب  
هذه حالي وأما حالتي في دار مصر ففكر متعب

فهو في غربته يحاول رسم صورة لوطنه في مُخيلته ليظل قريبا منه<sup>2</sup>.

يعد هذا العامل الديني مبعث الحنين في نفوس الأندلسيين والمغاربة على ارتياد البلد الحرام، حيث عمل الحج على توحيد الثقافة في سائر أنحاء البلاد الإسلامية، على الرغم من المسافات الشاسعة التي تفصلها عن الحجاز<sup>3</sup>.

يذكر ابن بطوطة في فاتحة رحلته سبب خروجه من وطنه إلى المشرق: « كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة، معتمدا حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام» ولعل هذا العامل ينطوي على عامل نفسي، نلحظه في شدة تعلق الأندلسيين والمغاربة بزيارة الأماكن المقدسة والمجاورة لها، إلى أن تحضرهم الوفاة فيدفنون في أرض طيبة بجوار الصحابة والتابعين، وأرض الأنبياء، فأبو عصيدة البجائي في رحلته المسماة

<sup>1</sup> - بدرون صليحة وبوقاعدة نعيمة، مرجع سابق، ص 23.

<sup>2</sup> - نوال عبد الرحمن الشوابكة، مرجع سابق، ص ص 25- 26.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 27.

"رسالة الغريب إلى الحبيب" نجده وقد حقق ما كان يصبو إليه بنزوله بالحجاز، وبالمجاورة في الحرم المدني، وأنه حقق الراحة النفسية واطمئنان البال، وقضى أوقاته في التدريس<sup>1</sup>. وكان الحاج يرتحل إلى الأماكن المقدسة تلبية لنداء الرحمن وتوبة تطهيراً للنفس من دنس الذنوب، وعهداً للسير على الصراط المستقيم وأملاً في المغفرة<sup>2</sup>.

إن الذهاب إلى الأماكن المقدسة بالحجاز وفلسطين وأداء مناسك الحج وزيارة مهد العربية والعروبة، والنهل من منابع العلم المشرقية مثل أبرز دافع كان يحث الرحالة المغاربة على النزوح نحو الشرق بصفة مستديمة، وهذا ما نجده عند أغلب الرحالة المغاربة في الرحلات الحجازية<sup>3</sup>.

تبعاً لذلك تعددت دواعي الرحلة وأنواعها، وهذا ما أكده محمود سالم محمد في قوله: « وكان لحنين المغاربة وتشوقهم للأماكن المقدسة، لون خاص نبع من بعد بلادهم عن الحجاز، وما يتجشمنونه في الرحلة إليها، فكان الوصول إلى الأماكن المقدسة عندهم غاية الإدراك وأمنية الأمانى»<sup>4</sup>.

3 - طلب العلم: تتوعت بواعث الرحلة وأخذت مسارات وأطرا متعددة، لكنها ذات صلة وطيدة بطابع الحضارة العربية الإسلامية التي وصل نفوذها إلى مشارق الدنيا ومغاربها، فقد قامت الحضارة العربية بشكل أساسي على طلب العلم والمعرفة، فكان دافعا لهم للإستفادة من العلوم والمعارف لدى الأمم الأخرى. فموسم الحج وإن كان موسما دينيا يعد كذلك ملتقى ثقافيا يجمع المسلمون الذين قدموا لأداء فريضة الحج على اختلاف بلدانهم وعاداتهم وتقاليدهم ولغاتهم، حيث كانت تعقد حلقات الوعظ والإرشاد وتقوم مجالس العلم والأدب في رحاب المسجد الحرام والمسجد النبوي.

<sup>1</sup> - نوال عبد الرحمن الشوابكة، مرجع سابق، ص ص 29- 30.

<sup>2</sup> - فؤاد قنديل، مرجع سابق، ص 19.

<sup>3</sup> - جميلة روياش، مرجع سابق، ص 25.

<sup>4</sup> - نوال عبد الرحمن الشوابكة، مرجع سابق، ص ص 24- 25.

فكانت الرحلة في طلب العلم تشكل سمة بارزة وتؤكد على التواصل العلمي والثقافي والإجتماعي بين المشرق والمغرب<sup>1</sup>. وقد حضَّ الإسلام على طلب العلم، وفرضه على كل مسلم ومسلمة، لذا فقد اهتم طلبة العلم منذ القديم بالرحلة فقطعوا الصحارى والقفار بحثاً عن الفائدة أو سماعاً لحديث، أو رجاء لقاء عالم، حيث أصبحت الرحلة فيما بعد شرطاً لازماً للعالم عموماً، وللعالم الحديث خصوصاً، ورُوي عن الشعبي ( 103هـ / 721 م ) قوله: « لو أنَّ رجلاً سافر من أقصى الشام إلى اليمن فحفظ كلمة تنفعُ فيها يستقبله من عمره رأيتُ أن سفره لا يضيع»<sup>2</sup>.

يلحظ كذلك أن العامل الثقافي مرتبط بالعامل الديني، فالدين نفسه يدعو إلى العلم والمعرفة، فقد حثَّ رسول الله-صلى الله عليه وسلم-على طلب العلم والرحلة في سبيله، من ذلك قوله: «... ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده».

موسم الحج وإن كان موسماً دينياً، إلا أنه يعد كذلك ملتقى ثقافياً إسلامياً يجمع الفئات المثقفة من العلماء، بل يشمل أيضاً غير المتقنين الذين أتوا لأداء فريضة الحج. ولا زالت تعقد حلقات الوعظ والحديث يحضرها كل من يرغب في التفقه في دينه والأخذ عن الشيوخ والجلوس إليهم لما في ذلك من أهمية كبرى في التعليم الإسلامي<sup>3</sup>.

وكان بشر يقول: « يا معشر القراء سيحوا تطيَّبوا فإن الماء إذا ساح طاب، وإذا طال مقامه في موضع تغير»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - بلال سالم طحيمر الهروط، مرجع سابق، ص 33.

<sup>2</sup> - علي إبراهيم كردي، مرجع سابق، ص 13.

<sup>3</sup> - نوال عبد الرحمن الشوابكة، مرجع سابق، ص ص 33-34.

<sup>4</sup> - فؤاد قنديل، مرجع سابق، ص 21.

يؤكد ابن خلدون في مقدمته قائلاً: « الرحلة لا بد منها في طلب العلم، ولإكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال». فالرحلة العلمية حققت عدة فوائد في حياة الرحالة فأثر بدوره على محيطه، وساهم في نقل مختلف العلوم والتجارب، كما أن هذا الدافع لا يخرج عن الدافع الديني<sup>1</sup>.

قد كان الدافع العلمي بغرض طلب العلم هو الإستزادة في العلم من منطقة أخرى (...). وتذكر كتب الحديث والسير أن من الفقهاء والعلماء من كان يقطع الفقار ويعبر الأنهار طلباً لحديث نبوي سمع به، أو لمجرد التحقق من كلمة فيه، وقد فعل ذلك عبد الله بن عباس والغزالي وابن منده والأحنف العكبري الشاعر، ولا نملك لمثل هؤلاء حصراً، فما أكثرهم، ومن قبيل ذلك أيضاً رحلات البحوث العلمية والكشوف الجغرافية<sup>2</sup>.

ليس من شك أن السفر جامعة تحفل بالدروس والعبر، وتحتشد بالعلم والمعرفة، وتشحذ العقل والوجدان، وتزيد في الفهم والإدراك، وتصلق الشخصية بفضل قساوة التجربة وحرارة المواقف ورهبة المغامرة وطلعة الجديد في كل شأن ومواجهة المفاجآت، وتحمل مشاق الغربة والسفر والإطلاع على الطبائع المختلفة<sup>3</sup>.

قد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تبين هذا النوع من الرحلة، وأشهر رحلة علم وردت فيه، هي رحلة موسى مع لخضر-عليه السلام- ليتعلم منه قال تعالى: « قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علّمت رشداً»، وهذه الآية مثال واضح ضربه الله تعالى لطلب العلم وبيان وجوبه، وقد فهم المسلمون معنى ذلك مبكراً، فسعوا لطلبه من مكان إلى آخر مع الحرص على لقاء العلماء والأخذ منهم<sup>4</sup>، ولعل هذا ما قصده عبد الحليم عويس حين قال: « وقد ساعد على نجاح هذه الظاهرة أن حركة الانتقال كانت مباحة بين العواصم

<sup>1</sup> - بدرون صليحة وبقاعدة نعيمة، مرجع سابق، ص 24.

<sup>2</sup> - فؤاد قنديل، مرجع سابق، ص ص 19-20.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 21.

<sup>4</sup> - عواطف محمد يوسف النواب، مرجع سابق، ص ص 33-34.

الإسلامية على هيئة بحوث علمية، وتسابق في الحصول على إجازات العلماء والشعراء، وفي اقتناء الكتب الكبيرة والنادرة»<sup>1</sup>.

#### 4 السفارة وأمور السياسة:

عُدَّت السفارة الشكل الرسمي للرحلات حيث يوكل بها الرحالة من قبل الحكام، وهي الرسالة التي يتنافس على أدائها من يتكفلون بها، إذ كانت تقترن في نفوسهم برفعة الدولة الإسلامية وعلو شأنها، فالسفير ممثل لدولته وعنوان لرقبها، وكانت السفارة لا تتقطع بين الدول العربية وما جاورها من الدول لأغراض ومقاصد متنوعة، إما لتصفية الأمور السياسية أو لمقصد الصلح، وقد تكون نتاج علاقات سياسية<sup>2</sup>.

ظهرت نتيجة لاتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية، حيث حتم على الخلفاء والحكام المسلمين إرسال الوفود والسفارات إلى البلدان المجاورة لإقامة علاقات معها ( ... ) وقد كانت هناك رحلات ذات دوافع دينية وعلمية، ولكن للضرورة قد تصبح هذه الرحلة رسمية، فابن بطوطة كانت رحلته دينية ( ... ) ليختاره سلطان الهند كسفير له في الصين يقول: « بعث إليَّ السلطان خيلا مسرجة وجواري وغلمانا وثيابا ونفقة فلبست له ثيابه وقصدته... ولما وصلت إلى السلطان زاد في إكرامي على ما كنت أعهده وقال لي: « إنما بعثتك لتتوجه عني رسولا إلى ملك الصين فإني أعلم حبك للأسفار والجولان فجهزني بما أحتاج له...»<sup>3</sup>.

كان هناك عدد من الرحلات السفارية كرحلة إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي ( 347هـ / 958 م ) وهو يهودي كان يشتغل في تجارة الرقيق، وقد حفظ لنا معلومات واسعة عن إمارات الصقالبة في أوروبا الوسطى في ذلك الحين، كما أنه قابل الإمبراطور ( أوتو ) وأورد تفاصيل ذاتية عن بعض المدن الساحلية، أو القريبة من السواحل في فرنسا وهولندا وألمانيا<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - جميلة روياش، مرجع سابق، ص 25.

<sup>2</sup> - بلال سالم طحيمر الهروط، مرجع سابق، ص 34.

<sup>3</sup> - بدرن صليحة وبوقاعدة نعيمة، مرجع سابق، ص 25.

<sup>4</sup> - بلال سالم طحيمر الهروط، مرجع سابق، ص 35.

## 5 السياحة:

هذا الدافع قد ينشأ نتيجة للملل الناجم عن الحياة الروتينية التي يحيها الإنسان بالإضافة إلى حب التنقل وتغيير الأجواء والمناظر ومعرفة المجهول ( ... ) وقد تكون للتعرف على المعالم الشهيرة كالأثار والمنارات والأبراج أو الكهوف والغرائب والعجائب<sup>1</sup>. سعى بعض الرحالة إلى البحث عن الحرية، واجتياز الحاجز المكاني، حيث المهم هو السفر لا المكان الذي يرتحل إليه، فالدافع القابع وراء القيام بهذه الرحلة هو التمتع بالحياة والوصول إلى مواطن الجمال في كل مكان، والرغبة في اكتشاف ما لم تره العين فيقوم الرحالة بالسفر بمحض إرادتهم دون دافع خارج عن حدود الذات (...). كما هو الحال عند الغرناطي الذي زار أصقاعا عديدة بدافع الرغبة التي تفرضها الذات، وحب الإطلاع على الحضارات بثقافات متنوعة، فكانت رحلته علمية سياحية في مضامينها<sup>2</sup>. كان هذا الدافع يصدر عن رغبة في الطواف نفسه والسفر لذاته وحب التنقل وتغيير الأجواء واكتشاف الجديد من خلق الطبيعة والبشر<sup>3</sup>، واكتساب الخبرة بالمسالك والطبائع، وقد تكون للتعرف على المعالم الشهيرة<sup>4</sup>.

6 - الاقتصاد والتجارة: تقتضي التجارة منذ القدم الرحلة والسفر البعيد من أجل تأمين سبل الحياة والكسب، فالبلاد العربية بحكم موقعها بين قارات العالم كانت مركزاً لإلتقاء الطرق التجارية الرابطة لهذه القارات، ولهذا تبوأَت موقعا تجاريا مهما أسهم في تطور الحضارة العربية في العصور الوسطى فمارس العرب الترحال، وكان عندهم ما يسمى "برحلتني الشتاء والصيف"، وكذلك رحلة التاجر سليمان الذي سار مرار إلى الهند والصين بقصد المتاجرة

<sup>1</sup> - بدرون صليحة وبقاعدة نعيمة، مرجع سابق، ص 25.

<sup>2</sup> - بلال سالم طحيمر الهروط، مرجع سابق، ص 38.

<sup>3</sup> - أشواق قواري وسناء دعة، مرجع سابق، ص 39.

<sup>4</sup> - فؤاد قنديل، مرجع سابق، ص 20.

فكانت التجارة من أهم الأسباب التي أدت إلى تدوين الرحلات لمعرفة طرق التجارة البرية منها والبحرية (...)

ألفت كل من رحلة ابن جبير وابن بطوطة الضوء على النشاط التجاري الإسلامي في البحر المتوسط والبحر الأحمر والمحيط الهندي<sup>1</sup>.

لما اتسع نطاق التجارة عند المسلمين في العصور الوسطى، لم يكتفي الرحالة بالإرتحال في البر وفوق أديم الصحراء، بل لم يبتهم هول البحر من ركوبه والإتجار على شواطئه وموانئه، بل ظهر منهم المعلمون المهرة والتجار الحاذقون من أهل سيراف والبحرين وعمان أمثال أبي الحسن محمد بن عمر السيرافي وأبي زهر البرخي والحسن بن عمرو إسماعيل بن إبراهيم (...)<sup>2</sup>.

فكان من بين أهداف الرحلة قديما السعي وراء التجارة، وبذلك كانت من العوامل التي تشجع على الرحلات وتنشطها إلى حد كبير، وإنما هذا راجع لأهميتها على الإنسان في كسب لقمة العيش، فدفعت بذلك الرحالة إلى تدوين رحلته حتى يعين القارئ على معرفة طرق التجارة البرية والبحرية، ولعل أول ما ارتبطت به الرحلات علم تقويم البلدان والمسالك والممالك (...). وذلك لمعرفة الطرق إلى مكة للقيام بفريضة الحج وتسهيل عملية التجارة في مختلف البلدان والبقاع<sup>3</sup>.

فكان الدافع الإقتصادي وراء الرحلة هو التجارة وتبادل السلع أولفتح أسواق جديدة لمنتجات محلية، أولجلب سلع تتوافر في بلاد أخرى وتندر في بلد المسافر، وقد يكون هربا من الغلاء وسعيا وراء الرخص واليسر والوفرة أو للعمل.

<sup>1</sup> - بلال سالم طحيمر الهروط، مرجع سابق، ص 36.

<sup>2</sup> - أحمد رمضان أحمد، مرجع سابق، ص 13.

<sup>3</sup> - بدرن صليحة وبوقاعدة نعيمة، مرجع سابق، ص 24.

## 7 دوافع صحية:

كالسفر للعلاج أو الإستشفاء، أو إراحة النفس من ألوان العناء وتخليصها من الكدر كالإرتحال إلى المناطق الريفية ونحوها، وقد يكون هرباً من وباء أو طاعون أو تلوث. من هنا تصبح الرحلة اليد التي تمتد لتقرب شعوباً تتأدت عن شعوب، وأقواماً إلى أقوام تفصل بينها البحار والفقار، وسبحانه من قال: « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنَّ الله عليم خبير». أما القيمة الأدبية للرحلات، فنتجلى فيما يقول د. حسني محمود حسين في ما تعرض فيه موادها من أساليب ترتفع إلى عالم الأدب (...). وإذا كان أبرز ما يميز أدب الرحلات تنوع في الأسلوب من السرد القصصي إلى الحوار إلى الوصف وغيره، فإن أبرز ما يميزه أسلوب الكتابة القصصي، المعتمد على السرد المشوق بما يقدمه من متعة ذهنية كبرى، يقول شوقي ضيف: « خير رد على التهمة التي طالما اتهم بها الأدب العربي، تهمة قصوره في فن القصة»<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - فؤاد قنديل، مرجع سابق، ص ص 20- 24.

## المبحث الثالث: أنواع الرحلات

بفعل ما سبق ذكره من الدوافع الأساسية للرحلات عند المغاربة أبدوها في كتابتها وصفا وتسجيلا فعرفوا أنواعا كثيرة، حاول الدارسون تصنيفها وحصرها لكنهم اختلفوا في تصنيفاتهم لها، فعين صلاح الدين الشامي ستة أنواع للرحلة - ثلاثة منها - ظهرت قبل الإسلام وهي: رحلة التجارة ورحلة الجهاد ورحلة السفارة، والثلاثة الأخرى ظهرت بعد الإسلام وهي رحلة الحج، ورحلة طلب العلم، ورحلة التجوال والطواف، يقول صلاح الشامي: «إن الرحلة اعتبارا من القرن السادس الهجري (العاشر ميلادي) انطلقت على أوسع مدى وتجاوزت ديار المسلمين على أمل أن تحقق أهدافا متنوعة، إقتصادية وهي تعمل لحساب التجارة، ودينية وهي تعمل لحساب فريضة الحج، وإدارية وهي تعمل لحساب العلاقات بين الدول الإسلامية»<sup>1</sup>.

لقد تضاربت الآراء حول تصنيفات الرحلات وحصر أنواعها لكثرة الأغراض التي يهدف من خلالها الرحالة القيام برحلته، فلتباينها أكد بعض الباحثين وعلى رأسهم مكي الطاهر في كتابه "الأدب المقارن - أصوله ومناهجه" - أن الرحلات مهما تعددت أنواعها وتباينت فيما بينها تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما: الرحلة الحقيقية الواقعية، والرحلة الخيالية<sup>2</sup>.

1- **الرحلات الواقعية:** ويقصد بها تلك الرحلة التي قام بها الرحالة حقيقة وجاب مختلف الأقطار، وهي تقع "ضمن مكان وزمان معين، وينتقل فيها الرحالة من مكان جغرافي محدد إلى مكان جغرافي آخر"<sup>3</sup>.

ويندرج ضمن هذا النوع من الرحلات رحلات متعددة أشهرها:

أ- **الرحلات الدينية:** وأشهرها هجرة المسلمين الأولى والثانية إلى الحبشة فرارا من الإضطهاد وظلم قريش، ثم هجرة الرسول (ص) وأصحابه من مكة إلى المدينة فرارا بالدين وخوفاً من

<sup>1</sup> - جميلة روباش، مرجع سابق، ص 25.

<sup>2</sup> - وهيبه جرفي، مرجع سابق، ص 14.

<sup>3</sup> - أشواق قواري وسناء دغة، مرجع سابق، ص 30.

الفتنة ورغبة بما وعد الله من التوسعة في الرزق وثبوت الأجر في حالة الوفاة قبل بلوغ البلاد المنتقل إليها<sup>1</sup>، وفي هذا الصدد قال سبحانه وتعالى: «ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراعماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً» (سورة النساء، الآية 40).

يمكن القول أن الرحلة الدينية لا تقتصر على هذا فحسب، بل تمتد جذورها إلى الرحلة في طلب الحج باعتبارها أفضل رحلة من أجل التقرب إلى الله-عز وجل- وطلب المغفرة والرحمة منه... فالدعوة لحج بيت الله الحرام قديمة منذ أيام خليل الرحمن فهو معروف في الجاهلية ومشهور.

وبالتالي أصبح الحج أحد قواعد الإسلام مقروناً بالإستطاعة.

يعد الحج الدافع الأساسي لدى المغاربة للقيام بالرحلات، لأنهم كانوا أبعد الناس عن الحجاز من جهة الغرب، فكان شوقهم لأداء الفرائض وزيارة قبر رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وبالتالي أطلق عليها الرحلات الحجازية أو الحجية، أما النوع الثاني فهي الرحلات الزيانية والصوفية، وهذا النوع يكتسي طابعاً دينياً وروحياً يتمثل في زيارة العباد والزهاد والوعاظ (...). أما المغاربة فلمشاركة بدورهم في مجال السياحة الدينية والدعوة للتربية الروحية في مختلف البلدان العربية والإسلامية<sup>2</sup>.

نعني بالرحلة الدينية هي الرحلات الموسمية للحج إلى بيت الله الحرام، وترتبط بصور عن نشاط إنساني مكثف، عرف تنامياً لإرتباطه بالدين الذي حث على السفر والحج والتطهر من الآثام<sup>3</sup>.

**ب- الرحلات العلمية:** وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تبين هذا النوع من الرحلة وأشهر رحلة علم وردت فيه هي رحلة موسى-عليه السلام- مع الخضر-عليه السلام- ليتعلم منه قال تعالى: « فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنا علماً » (سورة الكهف،

<sup>1</sup> - عواطف محمد يوسف النواب، مرجع سابق، ص 35.

<sup>2</sup> - جميلة روياش، مرجع سابق، ص 26.

<sup>3</sup> - وهيبه جرفي، مرجع سابق، ص 14.

الآية 25)، فهذه الآية مثل واضح ضربه الله تعالى لطلب العلم وبيان وجوبه، وقد فهم المسلمون معنى ذلك مبكرًا، فسعوا لطلبه من مكان لآخر مع الحرص على لقاء العلماء والأخذ عنهم.

بالإضافة إلى هذا فقد حدثنا-صلى الله عليه وسلم-على الجد في طلب الرحلة والترحال لأجل طلب العلم، كما حدث على زيارة مسجده الذي يعتبر المنهل الذي نستقي منه العلوم ونترود منه فما روي عنه(ص) حاثًا ما رواه أبو هريرة قال: « من جاء مسجدي هذا لم يأتته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه، فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر على متاع غيره»<sup>1</sup>.

كما حدث الرسول-صلى الله عليه وسلم-على الترحيب بطلبة العلم الذين يقدمون إلى مسجده ليعلموهم، فقد روي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قال: « سيأتيكم أقوام يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم فقولوا لهم مرحبًا بوصية رسول الله-صلى الله عليه وسلم- واقنؤهم»<sup>2</sup>. وبالتالي يعد مسجد رسول الله (ص) بمثابة كبرى الجامعات في العالم الإسلامي يقبل إليه طلبة العلم للترود بثتى المعارف.

بالإضافة إلى ما سبق نفهم أن نشأة الرحلة في طلب العلم في بداية انتشار الإسلام فمنذ عهد مبكر ارتحل المغاربة إلى المشرق لأهداف تعليمية، والرغبة في طلب العلم استجابة لدعوة الشارع إلى التعلم.

من رحلات الغرب الإسلامي ما اتسمت بالطابع العلمي التوثيقي، يمكن أن نلاحظ هذا في رحلات ابن رشيقي والعبدي والبلوي وابن خلدون والقلصادي، ويمكن القول أن الهدف من هذه الرحلة هو التزويد بالمعارف والعلم بالدرجة الأولى، وبالتالي كانت الرحلات في العصور الإسلامية معيارًا للحكم على مستوى العلماء<sup>3</sup>، وتشتمل هذه الرحلة على طلب العلم لأن من

<sup>1</sup> - أشواق قواري وسناء دعة، مرجع سابق، ص 31.

<sup>2</sup> - عواطف محمد يوسف النواب، مرجع سابق، ص 39.

<sup>3</sup> - جميلة روباش، مرجع سابق، ص 27.

سبل التعلم هو الإرتحال، فقد شدَّ الرحال الكثير من المسلمين بإتجاهات مختلفة طلبًا للعلم فأصبح الإرتحال أشبه بالضرورة، وهذا ما أشار إليه **فالح الكيلاني** في قوله: «الرحلة في طلب العلم ضرورة من لوازم طريق العلماء، ومنهجهم في التحصيل العلمي»<sup>1</sup>.

### ج- الرحلات التجارية:

لقد مهر العرب التجارة، وإن كان ذلك داخل نطاق محدود في الجاهلية، فهم يرحلون رحلتين في الصيف والشتاء إلى الشام واليمن، ولكن بعد إسلامهم واتساع نطاق تجارتهم تبعًا لإتساع دولتهم، بل لقد تعداه إلى أماكن لم يصلها غيرهم ولم يكتفوا بالرحلة برًا، بل ركبوا البحر أيضاً، خاصة بعد أن وجه الله تعالى أنظارهم لذلك<sup>2</sup>.

**قال سبحانه وتعالى: « ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيمًا »** (سورة الإسراء، الآية 66)، ويلاحظ أن الرحلة التجارية قد نالت حظًا وافراً ودورًا كبيرًا باعتبارها " أمراً يقتضي القيام بالسفر، وكان التجار يضربون أراضي جديدة عن طريق البحر، وقد وصلوا في سبيل ذلك إلى الصين وإلى الهند وشواطئ افريقية الشرقية والغربية"<sup>3</sup>. يمكن القول أن التجارة منذ القدم أمر يقتضي القيام بالرحلة والسفر البعيد من أجل تأمين سبل الحياة والكسب، ثم إن الموقع الإستراتيجي للبلاد العربية وكونها مركزاً لإلتقاء الطرق التجارية بين القارات، تشجع العرب على ممارسة الترحال (...). أما المغاربة فقد قاموا برحلات من أجل التجارة<sup>4</sup>.

فكانت الرحلة التجارية لأجل تبادل السلع سواء على المدى البعيد، أو على المستوى القريب بين القبائل والدول فيما بينها<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - بدرون صليحة وبوقاعدة نعيمة، مرجع سابق، ص 21.

<sup>2</sup> - عواطف محمد يوسف النواب، مرجع سابق، ص 38.

<sup>3</sup> - سيد حامد النساج، منشورات كتب الرحلة ( قديما وحديثا )، ( د.ط )، مكتبة غريب، ( د.ت )، ص 11.

<sup>4</sup> - جميلة روياش، مرجع سابق، ص 27.

<sup>5</sup> - وهيبية جرفي، مرجع سابق، ص 15.

د- **الرحلات الرسمية:** يضم هذا النوع كل من الرحلات التكاليفية والإدارية والسفارية، وهي خاصة بدوافع عديدة منها: تفقد أمر الرعية، أو تلبية طلب الحاكم في معاينة أماكن مجهولة أو بعيدة، أو الإتيان بأخبارها فقد تكون في إطار التجسس أو الإستطلاع.

بالتالي عُدَّت السفارة الشكل الرسمي للرحلات، حيث يوكل بها الرحالة من قبل الحاكم، وهي الرسالة التي يتنافس على أدائها من يتكفلون بها<sup>1</sup>.

فالرحلة السياسية تخدم الحكام والأمراء بصفة خاصة، لأنهم في حاجة إلى الإطلاع على أحوال البلدان والشعوب الأخرى، وفي هذا الصدد يقول محمد فهميم: « لقد اقتضت ضرورة الحكم والإرادة وتقدير الثروات، وحجم الضرائب أن يكلف الحكام الأشخاص بالقيام برحلات تفقدية لجمع البيانات والحقائق وتقديم التقارير»<sup>2</sup>.

2- **الرحلات الخيالية:** هي الإنتقال من المتخيل الذي يقوم به الأديب عبر الحلم أو الخيال إلى عالم بعيد عن عالمه الواقعي، لي طرح في هذا العالم رؤاه وآلامه وأحلامه، التي لم تتحقق في دنيا الواقع.

صنف الدكتور السليمان محمد الصالح أشكال الرحلات الخيالية إلى ثلاث عناصر أساسية، تتمثل فيما يلي:

1- رحلات إلى عالم الجن والمدن المسحورة.

2- رحلات إلى العالم العلوي.

3- رحلات إلى عالم الموت والآخرة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - جميلة روياش، مرجع سابق، ص 28.

<sup>2</sup> - بدرن صليحة وبوقاعدة نعيمة، مرجع سابق، ص 22.

<sup>3</sup> - السليمان محمد الصالح، الرحلات الخيالية في الشعر العربي الحديث، (د.ط)، منشورات اتحاد الكتاب العربي، المغرب، 2000، ص 9.

بالتالي يمكن القول أن هذه الظاهرة والتي يقصد بها الرحلة الخيالية ليست جديدة، فقد أخذ الإنسان القديم على عاتقه إيجاد تفسيرات روحية وفكرية، لما يحيط به من ظواهر كونية وقد رَوَتْ الأساطير كثيراً من مثل تلك الرحلات الخيالية<sup>1</sup>.

بالإضافة إلى ما سبق نفهم أن الحلاوة التي يتذوقها القارئ في النصوص الرحلية الخيالية تذهب به إلى أبعد نقطة تتوق نفسه ومراده الوصول إليها، فهذا الانتقال بين الأمكنة غير الحقيقية يتلمس فيها الملجأ والخلص من محن واقعه، وهو الذي تحدث عنه حسين فهميم أين ترجم رحلات الهروب بمظهرين أساسيين هما: "الرحلات الخيالية المحضنة"، ورحلات واقعية خرج فيها أصحابها من بلادهم باحثين عن المكان الآخر حيث الطمأنينة والبعد عن المخاطر<sup>2</sup>.

هذا النوع من الرحلة يضم نوعين رئيسيين هما:

أ- **الرحلة الأسطورية:** وهي التي تتعلق بطرح عدة تساؤلات حول أصل وجود الإنسان وتفسير ظواهر الكون بمختلف أنواعها.

ولعلّ أقدم رحلة خيالية تقدمها الأساطير هي: "رحلة الإله الخيالية للقضاء على آلهة العماء "تيامات" أو "التنين" وخلق الكون من أشلائها وإجراء الأنهار والبحار من دمها<sup>3</sup>.

كما تتجلى الرحلات الأسطورية أيضاً في "رحلة جلجامش" ومسيرته للبحث عن الخلود ورحلتي "أدباق وإيتانا" إلى السماء وهبوط بعلى إلى العالم الأسفل...<sup>4</sup>

ب- **الرحلة المغامرية:** وهي التي تتعلق بأخبار زاخرة عن الملاحين والتجار والرحالة الذين جابوا المحيطين الهندي والهادي، ومنهم من اجتاز البحر الأحمر، وآخرين ساحوا في البحر

<sup>1</sup> - السليمان محمد الصالح، مرجع سابق، ص 13.

<sup>2</sup> - وهيبة جرفي، مرجع سابق، ص 18.

<sup>3</sup> - السليمان محمد الصالح، مرجع سابق، ص 9.

<sup>4</sup> - أشواق قواري وسناء دغة، مرجع سابق، ص ص 34-35.

الأبيض المتوسط، وهو أقصى ما أبحروا فيه من جهة الغرب، وهم يصفون ملاقوه من تلك المغامرات<sup>1</sup>.

يلاحظ كذلك أن الرحلة المغامراتية تكون لهدف الإستطلاع، وهي خارجية نذكر منها "رحلة ابن فضلان"، "أبو أودلف"، "الفتيان المغامرين" وغيرهم، وإن اختلفت الأهداف منها السياسي لا يخرج عن نطاق التقريرية، فيكون مغامرة الغاية منها التعرف على أنماط الحياة والمجتمعات المرتحل إليها "نصوص رحلية استكشافية تعلن عن قصدها الاستكشافي منذ البداية"، وتبرز طابع العلاقة مع خطاب الفن الرسمي اتجاه الآخر عليها، أو صقلها عن طريق المناقفة<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - فؤاد قنديل، مرجع سابق، ص 207.

<sup>2</sup> - أشواق قواري وسناء دغة، مرجع سابق، ص 35.

## المبحث الرابع: أدبية الرحلة

إن الرحلة هي فن من فنون القول العربي يعرض في مضمونه إلى ناحية أو إلى أخرى من نواحي الحياة، وفيه يتعرض إلى جميع نواحي الحياة وهي حافلة بمختلف العلوم. يمكن القول أن: أدب الرحلة أو أدبية الرحلة قد اهتمت وعنيت بموضوعاتها في صرف أصحابه في غالب الأحيان، عن اللهو والعبث اللفظي والتكلف في تزويق العبارة، مما يفتقده كثير من الأدباء والمحترفين في بعض عصورنا الأدبية، فهو يعتمد على السجع أحياناً وينحو الجفاف والصرامة العلمية أحياناً أخرى، خاصة في تناوله للموضوعات العلمية، ومع هذا يظل مشوباً في أغلب الأحيان بشيء من الطراوة والإخضرار، يبقينه غصاً وعلى شيء من اللين<sup>1</sup>.

يلاحظ إذن أن الأدب قد نال اهتماماً بالغاً بسبب تنوعه وغنى مادته.

فدراسة أدب الرحلات، بوصفها خطاباً ابداعياً مكوناً من أنساق جمالية وإنسانية جديدة، توفر للباحث مادة أدبية ولغوية تكشف عن البنى اللغوية وما تحمله من جماليات وآفاق إنسانية ويظل أدب الرحلات معبراً عن التنوع الثقافي بين البشر، الذي يشمل العادات والتقاليد في الطعام والشراب والتفكير والمعتقدات، وبالتالي يساهم في فهم مسار الحضارة الإنسانية<sup>2</sup>.

بالإضافة إلى ما سبق نجد في النص الرحلي: "الوصف، التخيل والنعوت والتصوير والنفي"، كما نجد في علوم التاريخ "الواقع والجغرافية"، أي قياس المسافات والتضاريس... إلخ من نقطة سابقة إلى أخرى، يقول هوراس مثلاً: «الشعر ممتع مفيد، قد أصاب فيما قال، لكن لو جعلنا بدل الشعر الرحلة لإستقام القول أكثر وكان أكثر دلالة، لأن جانب الإمتاع في الرحلة يحيل بالدرجة الأولى إلى أدبيتها، أما جانب الإفادة فيها فيحيل على الفائدة

<sup>1</sup> - حسني محمود حسين، مرجع سابق، ص 11.

<sup>2</sup> - قضايا الخطاب في أدب الرحلات، شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات، 2017، ص 2.

المضمونية المتمثلة أساساً في تنوع المادة في الخطاب الرحلي، فأدب الرحلات على هذا الصعيد ثروة معرفية كبيرة ومخزوناً للقصص والظواهر والأفكار»<sup>1</sup>.

لقد وضع "عبد الرحيم مؤذن" محددات الأدبية في الرحلة وقد لخصها في أربعة نقاط كبيرة في مقالة "رحلة أدبية أم أدبية الرحلة" وهي كالتالي:

1- هيمنة البنية الأدبية على بنية السفر، وهذا راجع إلى توفر النصوص على الجانب المادي أو المجازي كالشخصيات والموضوعات والتقاليد والموروثات، فإذا كان الأمر كذلك فإن السفر يعتبر أمراً ثانوياً والأساس هو المادة الكتابية.

2- أن يكون السفر غير معتمد أي اضطراري، كأن يكون هجرة أو ترحيل أو إغراباً، وهذا الأمر يقتضي بالنص الرحلي الحتمية ومحدودية الفعل.

3- لا يقتصر السفر على فعل الإرتحال مادياً، بل إن السفر يعاد إنتاجه على مستوى الكتابة، وهذا ما يتيح للسارد الجوال "Le Narrateur Enbulant"، الذي يتجول بخياله في جل الأمكنة، أن يكتب نصوصاً رحلية مختلفة وثرية ثراء الأمكنة، ووسيلته في ذلك الوصف الذي ساعده بشكل كبير في الدخول إلى عالم الأدب.

4- اعتماد النص الرحلي على عناصر أدبية تنتمي إلى الكتابة البصرية، سواء بالمعنى التشكيلي أو بالمعنى الأدبي مادام النص الرحلي عبارة عن صور متلاحقة في الزمان والمكان<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- وهيبه جرفي، مرجع سابق، ص ص 43-44.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص ص 44-45.

## المبحث الخامس: موضوعات الرحلة

من ثانيا رحلة العبدري المعروفة ( بالرحلة المغربية) أو (الرحلة العبدرية)، نستخلص أنه قام بهذه الرحلة انطلاقا من الصويرة ( موجدور) سابقا، في الخامس والعشرون من شهر ذي القعدة سنة 688هـ، تاركا وراءه أسرته مع قبيلة ( حاحة) المغربية عازما الحج ومعه ولده وسار ببطء ليتوقف خلال الرحلة وقفات طويلة في المدن الكبرى، وفي غضون هذه الوقفات حاول العبدري أن يتعرف على مواقع المدن التي يحل بها ويدرس معالمها مركزا على الناحية العلمية، لذلك جاءت رحلته فيضا من المساجلات والمناقشات مع علماء المدن التي حل بها تتم بصدق عما حازه الرجل من سعة ومعارف وانتقاد ذهن وحضور بديهية<sup>1</sup>.

مما يزيد في أهمية الرحلة أنها تعد وثيقة مهمة عن الحياة الثقافية في أواخر القرن السابع الهجري في البلاد التي مرَّ بها العبدري، والتقى علمائها، فقد أعطانا العبدري فكرة موسَّعة عن المستوى الثقافي في هذه البلاد، وعرفنا بأعلام العلماء، وما كان يهتم به من العلوم المختلفة، كما دلَّنا على الكتب التي كانت رائجة آنذاك، وطرائق التدريس المتبعة عصرئذ.

لقد ترجم العبدري لمجموعة من العلماء الذين لا نكاد نعثر لهم على صورة واضحة في المصادر المختلفة، فأضاء جوانب من شخصياتهم، وعرفنا بهم وبطبائعهم، وكانت أوصافه وأحكامه تتصف بالدقة لأنها صادرة عن شاهد عيان<sup>2</sup>.

بدأ العبدري رحلته هذه بالحمد والشكر لله- عز وجل- معترفا بالتقصير، عائذا بوجهه الأكرم وجلاله الأعظم من سوء المصير، ثم الصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم المرسلين وعلى آله وصحبه الأكرمين، ثم استرسل في قوله أنه استخار الله سبحانه إلى تقييد

<sup>1</sup> - بورايو عبد الحفيظ، صورة مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، ط1، دار السويدية، أبو ظبي، الامارات، 2009 ص ص 95- 96.

<sup>2</sup> - محمد العبدري، رحلة العبدري، ط2، تحقيق علي ابراهيم كردي، دار سعد الدين، دمشق، سوريا، ص 18.

ما أمكن تقييده ورسم ما تيسر رسمه وتسويده، مما سما إليه الناظر المطرق في خير الرحلة إلى بلاد المشرق من ذكر بعض أوصاف البلدان.

### 1- ذكر حاحة:

استهل رحلته انطلاقاً من حاحة حيث يقول: « وكان طريقنا على بلاد القبلة، فزرنا بموضع أنسا من أعلى بلاد السوس الأقصى قبر الشيخ الصالح أبي حفص عمر بن هارون وهو من كبار الأولياء ومن عظماء الصالحين نفعنا الله بهم ذكره صاحب كتاب "التشوق وبالغ الثناء عليه، وذكره الشيخ الفقيه الصالح أبو سعيد الحاحي المترزي في كتابه "منار العلم" (...) وفي أول سفرنا دخلنا مسجد الصلاة للظهر فوجدنا به ألواح صبيان المكتب فنظرنا فيها تبركا بها (...)»<sup>1</sup>.

### 2- ذكر أنسا:

ثم انتقل إلى بلد أنسا فقد وصفها بأنها بلد منفسح منشرح في بسيط مليح طيب التربة يغل كثيراً، وبه ماء جار كثير ونخل وبساتين، وهو آخر بلاد السوس من أعلاه، متصل بالجبل مشرف على أرض السوس.

«وكان فيما مضى مدينة كبيرة فتوالت عليها الخطوب المجتاحة (...) فليس بها إلا رسوم حائلة وظلول مائلة خلت من كل قارئ ومقروء عليه (...) وبها صيانة من أهل الدين وفرقة بأخلاق أهل الخير»<sup>2</sup>، ويستمر في الوصف قائلاً: « ووصلنا إلى مدينة أنسا، وهي مدينة جميلة تتوسط سهلاً غنياً بالمراعي والماشية وأرضها شديدة الخصب غزيرة المياه والواحة تدور بها الحدائق ومنابت النخيل، وهي بوقوعها في أطراف السوس الأقصى، وفي مكان

<sup>1</sup> - محمد العبدري البلنسي، الرحلة المغربية، (ط1)، تح: سعد بوفلاقة، منشورات بونة، الجزائر، 2007، ص ص 21-

.22

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 23.

مرتفع تتعلق بأسباب الجبال التي تشرف على المنطقة»، ويستطرد في وصف بداية رحلته، فيقول: «واستمررنا في السير من أنسا عبر المنطقة الوسطى، وهي بلاد اختفى العلم فيها، حتى أن اسمه زال وفقد الناس عادة التعليم، وقلما يرتل القرآن في مساجدها، ولكن الناس يكرمون رجال الدين ويولونهم تفتهم التامة، ويتمتعون بصفة هامة هي حماية الجار واحترامه والدفاع عنه»<sup>1</sup>.

### 3- ذكر تلمسان:

يقول عن تلمسان: «وأما العلم فقد درس رسمه في أكثر البلاد وغاضت أنهاره فازدحم على الثماد، فما ضنك بها وهي رسم عفا ظلله ومنهل جفّ وشله»، من ذلك ما قاله معرنا بابن خميس التلمساني: «وما رأيت بمدينة تلمسان من ينتمي إلى العلم ولا من يتعلق منه بسبب سوى صاحبنا ابي عبد الله بن محمد عمر بن محمد خميس، وهو فتي السن، مولده عام خمسين، وله عناية بالعلم مع قلة الراغب فيه والمعين عليه، وحظ وافر من الأدب وطبع فاضل في فرض الشعر»<sup>2</sup>.

نجد العبدري يصف تلمسان ويجيد الوصف: «ثم وصلنا إلى مدينة تلمسان فوجدنا بلدا حلت به زمانة الزمان وأخلّت به حوادث الحدثنان، فلم تبق به علالة، ولا تبصر في أرجائه للظمان بلالة (...) وتلمسان مدينة كبيرة، سهيلة جبلية، جميلة المنظر، مقسومة باثنتين بينهما سور، ولها جامع عجيب مليح متسع، وبها أسواق قائمة، وأهلها ذو ليانة ولا بأس بأخلاقهم، وبظاھرھا في سند الجبل موضع يعرف بالعبّاد وهو مدفن للصالحين وأهل الخير، وبه مزارات كثيرة، ومن أعظمها وأشهرها قبر الشيخ الصالح القدوة فرد زمانه أبي مدين-

<sup>1</sup> - أحمد رمضان أحمد، مرجع سابق، ص 348.

<sup>2</sup> - علي إبراهيم كردي، مرجع سابق، ص ص 89 - 101.

رضي الله عنه- (...) والدائر بالبلد كله مغروس بالكرم وأنواع الثمار، وسوره من أوثق الأسوار وأصحها وبها حمامات نظيفة كحمام العالية وهو مشهور»<sup>1</sup>.

« وقد كانت رعاية الله تكلونا في اجتيازنا هذه المنطقة (...) التي لا يجتازها الناس عادة إلا والسلاح مهياً مشهور (...) حتى وصلنا تلمسان (...) وفيها مسجد جامع فخم واسع، وأسواقها حافلة (...) وفي مرتفع من الأرض تقوم العباد، وهي مقبرة أهل التقى والمرابطين»<sup>2</sup>.

انتقد العبدري أحد مدرسي النحو في تلمسان بقوله: « (...) وقد حضرت بها مدرسا مذكورا عندهم يقرأ عليه باب التوكيد من "الجمل" فسمعتة يقول: كلا للمذكرين، وكلتا للمذكرتين، وأعربوا، قول ابن دريد:

هم الذين جرعوا من ما حلوا...

بأن هم مبتدأ، والذين مبتدأ ثان، وجرعوا خبره، والجملة في موضع خبر الأول...»<sup>3</sup>

#### 4- ذكر مليانة:

ثم وصل الى مليانة « البلدة الجميلة المكونة من مجموعة من الأبنية ولا ينقصها شيء من ميزات المدن الكبيرة (...)»<sup>4</sup>، وأدى له من حكمة خطلا، وكساه بعد الحبر الأطمار (...)

وأحل حلاله بعد الأئس بأنسها وحشة العمار (...) دجا عليهم ليل هم أدلهم بعد نهار سرور تألق»<sup>5</sup> يقول: « وليست مع ذلك أمهات المدن مقصرة أشرفت من كتب على وادي الشلف،

<sup>1</sup> - علي إبراهيم كردي، مرجع سابق، ص ص 123-124.

<sup>2</sup> - فؤاد قنديل، مرجع سابق، ص ص 467-468.

<sup>3</sup> - علي إبراهيم كردي، مرجع سابق، ص 112.

<sup>4</sup> - فؤاد قنديل، مرجع سابق، ص 468.

<sup>5</sup> - علي إبراهيم كردي، مرجع سابق، ص 97.

واستشرقت نسيم طرفها من شرق في روضة جمة الأزهار والطرف (...) وبها جامع مليح عجيب يدعو الشوق من رآه فيجيب «<sup>1</sup>.

### 5- ذكر الجزائر:

يصف الجزائر قائلاً: « وصلنا الجزائر وهي مدينة لا يكف المرء عن الإعجاب بها، إذ فيها ما يسرح اللب (...) تقوم على شاطئ البحر، مقتعدة نشزا من الأرض، بحيث تستمتع بكل ما يمكن أن يضيفه مثل هذا الموقع الخاص على بلدة ما، وبصبح البحر والسهل موردين لها جمال أبنيتها يأسر الرائي، وحصونها تتحدى الأعداء بمتانيتها، لكنها خالية من العلم (...) وليس فيها من يمكن أن يعد من العلماء «<sup>2</sup>.

وبعد وصفه لمدينة الجزائر يقول عن العلم بها: « فلم يبق بها من هو من أهل العلم محسوب، ولا شخص إلى فن من فنون المعارف منسوف، وقد دخلتها سائلا عن عالم يكشف كربة أو أديب يؤنس غربة، فإني أسأل عن الأبلق العقوق، أو أحاول تحصيل بعض الأنوق «<sup>3</sup>.

6- ذكر بجاية: يقول: « وخرجنا من الجزائر إلى بجاية وهي ميناء كبير ومدينة حصينة (...) وكم حاول الأعداء أخذها فباءوا بالفشل، وفيها مسجد من مساجد الجهة كلها حسنا، وفيها جماعة من العلماء الأعلام «<sup>4</sup>.

من خلال هذا القول نلاحظ أن الرحال قام بوصف منطقة بجاية واهتم بكل كبيرة وصغيرة فيها، ويصل العبدري إلى مثار سخطه وعتابه ورضاه وإعجابه، ونعني جانب الدين ومجالاته والعلم ورجاله، فيقول واصفا مدينة بجاية: « وأهلها يواظبون على الصلاة فيه

<sup>1</sup> - علي إبراهيم كردي، مرجع سابق ، ص 97.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ص 97.

<sup>3</sup> - فؤاد قنديل، مرجع سابق، ص ص 471 - 472.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 468.

(الجامع) مواظبة رعاية ولهم في القيام به عناية (...) وهذا البلد بقية قواعد الإسلام ومحل جلة من العلماء و الأعلام، وله من حسن المنظر طيب المخبر (...) ولأهله من حسن الخلق والأخلاق (...) وبه آحاد من طلبة العلم وقد اقتصر على مطالعة الدفاتر وسلكوا في ترك تصحيح الرواية طريقا لم يرضه الأعلام والأكابر»<sup>1</sup>.

كما يصف بجاية وصفا دقيقا ارتكز على المباني يقول: « (...) وهي مدينة كبيرة حصينة منيعة شهيرة برية بحرية سنوية سرية، وثيقة البنيان عجيبة الإتقان رفيعة المباني، غريبة المعاني، موضوعة في أسفل سفح جبل وعر مقطوعة بنهر وبحر»<sup>2</sup>.

### 7- ذكر ميلة:

بعد بجاية وصل إلى بني ورار ثم إلى ميلة يقول: « فلم نر إلا رسوما بحوادث الدهر محلية»، ويشبها بمدينة مليانة يقول: « وكلتاها على شكل مدينة ليست بثمينة ولا متينة فيهما من السكان، وادخل الجميع في خبر كان، وفي كليهما عين تسح وعنصر يجود ولا يشح ».

ثم يقول: « وعين ميلة في داخل البلاد، ليست بفيض ولا تمد، وقد طويت طيا بديع الأحكام وبنيت بنيانا يدل على فرط الاعتناء والاهتمام تقف عليه النواظر وقوف استغراب وتصفه الألسنة على جهة الإغراب »، والعين التي أشار إليها العبدري يطلق عليها اسم "عين البلد" لأنها تقع وسط البلدة القديمة لميلة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الحفيظ بورايو، مرجع سابق، ص 49.

<sup>2</sup> - محمد العبدري البلنسي، مرجع سابق، ص 49.

<sup>3</sup> - بدرون صليحة وبوقاعدة نعيمة، مرجع سابق، ص ص 63-64.

8- ذكر بنو ورار: يقول فيها: « وبنو ورار أعمر المحلّين، وعينها أغزر العينين، تسقي البلد نهلا وعللا، وتفيض عليه غللا يشفي عللا »<sup>1</sup>.

### 9- ذكر قسنطينة:

يقول في قسنطينة: « وجئنا قسنطينة (...) شفى الله جراحها وتمتع سكانها بسبل إنعاشها (...) إنها بلدة جميلة وحصينة، ولكن حدثان الدهر طغى عليها (...) حيث أصبحت كالمرأة الجميلة وكالكريم الخالي اليدين من المال (...) تكثر فيها بقايا الأبنية القديمة (...) يحيط بها إحاطة السوار بالمعصم نهر، يجري في واد عميق يدور بها فيندفع عنها أذى العدوان »<sup>2</sup>.

«وهي مدينة عجيبة غير أنها لخطوب الزمان مستكينة، قد ذبلت ببوارح الغير فوادح الضرر رياضها، ونضبت بسهام الآفات وعظائم الملمات فهي ترى الحوادث لمحا باصرا وتنادي بلسان الذل لو أجد ناصرا»، فهو يصف قسنطينة بعد أن ينعتها بالمدينة العجيبة الحصينة ذات الأراضي الزراعية الخصبة، وأنها لخطوب الزمان مستكينة، فقد نشفت المحن المتوالية كل معين للخير بها، وتكرر لها كل شيء حولها حتى الأقدار، فقد أبت أن تتقدم لها يد العون، فغدت أشبه بحسنا لبست أسمالا أو كريم فقد مالا أو بطل أثخنه جروحه (...) وهو وصف يغلب عليه نوع من التشاؤم الذي كان مرده إلى حالة المدينة المتردية وتقهقر العلم وقلة العلماء<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: محمد العبدري، الرحلة العبدرية، مرجع سابق، ص 92.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 92.

<sup>3</sup> - عبد الحفيظ بورايو، مرجع سابق، ص ص 96-97.

عن العلم في قسنطينة يقول: « ولم أر بها من ينتمي إلى طلب، ولا من له في فن من فنون العلم أرب، سوى الشيخ أبي علي حسن بن بلقاسم بن باديس (...) وهو شيخ من أهل العلم يذكر فقها ومسائل ذو سمت وهيبة ووقار، وليس في البلد من يذكر بعلم سواه »<sup>1</sup>.

### 10- ذكر بونة:

ثم ينتقل العبدري إلى وصف مدينة بونة ( عنابة ) يقول: « وجدناها بطوارق الغير مغبونة مبسطة البسيط، ولكنها بزحف النوائب مطوية مخبونة، تلاحظ من كذب فحوصا ممتدة وتراعي من البحر وجزره ومدّه تغار لها العيون من جور النوائب وتأسى لها النفوس من الأسهم الصوائب وقد أزعج السفر عن حلولها فلم أقض وطرًا من دخولها»، ولعل هذا الوصف لم يرق أهل بونة وإلا بما نفسر ردّ أديبهم ومؤرخهم أحمد بن علي البوني صاحب " التعريف ببونة الإفريقية " <sup>2</sup>.

### 11- ذكر خولان :

كما مرّ على قرية خولان يقول: « ثم مررنا على قرية خولان، ولم يعرج عليها من أصحابنا إنسان، ولم أر بها ما يتعرض له ببيان، ولا ما يعمل فيه قلم ولا لسان سوى أن فناءها رحب المسرح وبسيطها أبسط من غيره وأشرح »<sup>3</sup>.

### 12- ذكر باجة:

ثم ينتقل إلى مدينة باجة فيقول: « وهي مدينة جرعا الدهر أجاجه وقد هتكها الأيدي العادية، وفتكت فيها الخطوب المتمادية، حتى صارت وهي حاضرة بادية (...) وقد حدثت

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 95.

<sup>2</sup> - عبد الحفيظ بورايو، مرجع سابق، ص 48.

<sup>3</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 104.

بها أن أهلها لا يفارقون السور خوفاً من العُربان، وأنهم يستعدون لدفن الجنائز كما يُستعد ليوم الضراب والطعان».

من أهم أعلامه الذين ساهموا في نشر العلم والمعرفة نجد سبيل المثال: «الأديب النحوي أبي علي حسين بن محمد الطَّبلي بالطاء والباء الساكنة بواحدة، وهو رجل له مِقُول منقاد ودهن مشتعل وقاد، حسن الخلق، مقبول الصورة، وقد جمع أكثر مؤلفاتها واحتفل في تحصيل مصنفاتها، فاجتمع له من ذلك ما دلَّ على نبهه»<sup>1</sup>.

### 13- ذكر تونس:

يحدثنا العبدري عن تونس بأسلوب عذب رقيق متميز غريب على القرن السابع الهجري بل إنه يبدو وكأنه أسلوب القرن العشرين، وإن كثر فيه السجع، فمن أقواله فيها وفي أهلها ومساجدها وأرباضها وبساتينها: «(...) ومازالت مدينة تونس كلاها الله دار ملك وفخامة وهي إلى الآن دار مملكة افريقية، على ضعف المملكة بها وانتهائها إلى حد التلاشي ومع ذلك فقد أربت على البلاد في كل فضيلة»، ثم ينتقل عن الحديث عن أهلها فيقول: «وما رأيت لأهلها نظيراً شرقاً وغرباً، شيئاً فاضلة وأخلاقاً حميدة وكان الأخلاق بمن شاهد أخلاقهم أن يطنب في وصفهم ويضرب عنم لم يمنحهم الوداد وينصفهم»<sup>2</sup>.

عن العلم بتونس وعن علمائها يقول: «لا تتشد بها ضالة للعلم إلا وجدتها، ولا تلتمس بها بغية معوزة إلا استقدتها، وما من فن من فنون العلم إلا وجدت بتونس (...) ومن علمائها لقيت بها الشيخ الأديب الحسب الكاتب البليغ ذو الفضائل المذكورة والمآثر الماثورة شيخ الأدباء وواحد البلغاء وزين الناظمين والشعراء أبا الحسن علي بن ابراهيم التجاني التونسي له بيت عريق في العلم والأدب». ويصف مسجد تونس "الجامع" فيقول: «وهذا الجامع من

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 105.

<sup>2</sup> - أحمد رمضان أحمد، مرجع سابق، ص 349.

أحسن الجوامع وأتقنها، وأكثرها إشراقاً، ودائرة مسقف ووسطه فضاء، قد نصبت فيه أعمدة من خشب على قدر ارتفاع الجدار، وشدت إليها حبال متينة في حلق من حديد مثبتة فيها وفي السقوف شدا محكما، فإذا كان يوم الجمعة نشرت عليها شقف الكتان فيها وفي السقوف شدا محكما، في يوم الجمعة نشرت عليها شقف الكتان المطبقة الموصولة حتى تظل جميع الفضاء، ذلك دأبهم فيها حتى ينصرم فصل الصيف<sup>1</sup> (...) وبها من أهل الرواية والدراية عدد وافر، يجلو الفخار بهم عن محيا سافر، وبينير علمهم وقد ألفت ذكاء يمينها في كافر<sup>2</sup>.

في طريق العودة يصف مدينة تونس ثانية فيقول: «ثم وصلنا إلى مدينة تونس مطمح الآمال، ومصاب كل برق، ومحط الرحال من الغرب والشرق، ملتقى الركاب والفلك، وناظمة فضائل البرين في سلك (...) حلت بها على ممر الجروس الطروس، لا تنتشد بها ضالة من العلم. وهذه المدينة كالأها الله من المدن العجيبة الغربية، وهي في غاية الإتساع ونهاية الإتقان والرخام، (...) جل مبانيها من حجر منحوت محكم العمل، ولها أبواب عديدة وعند كل باب منها ريش يتسع على قدر البلد المستقل<sup>3</sup>».

#### 14- ذكر القيروان:

ثم انتقل إلى مدينة القيروان حيث قال: «فلم أر إلا رسوما محتها يد الزمان، وأثارا يقال عنها كان وكان، والأحياء من أهلها جفاة الطبع، مالهم في رقة الحضارة باع، خفت نفس العلم بينهم فلم يبق به ومق، وكسدت سوق المعارف بينهم فيا سخنة عين من رمق، والمدينة نفسها ليس لها بر ولا بحر (...) وما كان حالها في القديم إلا أية من آيات هذا الدين القويم إذ أسسها المخلصون من أهله المتمسكون بحبله<sup>4</sup>».

<sup>1</sup>- أحمد رمضان أحمد، مرجع سابق، ص 350

<sup>2</sup>- علي إبراهيم كردي، مرجع سابق، ص 99.

<sup>3</sup>- عبد الحفيظ بورايو، مرجع سابق، ص ص 49-50.

<sup>4</sup>- محمد العبدري البلنسي، مرجع سابق، ص 101.

« وكان شأن القبروان في غابر الزمان بحيث لا يجهله إنسان (...) وملئت الاسماع من وصف وابله وطله مأوى العلماء والصلحاء في حياتهم (...) بلد يناظر به كل إقليم، وحتى ذكر علماءه فليس إلا التسليم (...) ولم أر بالقبروان ما يؤرخ (...) سوى جامعها ومقبرتها أما جامعها فهو من الجوامع الكبار المتقنة الرائقة المشرقة الأنيسة، ووسطه فضاء متسع »<sup>1</sup>.

### 15- ذكر قابس:

ثم واصل مشواره الى مدينة قابس يقول: « ذات المخبر الخبيث والمحيا العابس، هواء وخيم ولؤم وطبع رخيم، وتضييع المصليات والمساجد، وقلة اعتناء بكل راع وساجد مغانيهم إلى النجوم، ومعانيهم أسفل التخوم (...) تتصب حواليه أنهار، تشتعل بها في حشي الطمئان نار، ودارت به غاية من نخيل، قد طلست ثمرتها بكف كل بخيل »<sup>2</sup>.

« أما العلم عندهم فقد ركدت ريحه، والجهل لديهم لا يؤسى جريحه، علم لا يتطرف إليه الخصوص، وظاهر جاء على وفق النصوص (...) وقد حضرت بجامعها شيخا يشار إليه ويعول في وازل المسائل عليه »<sup>3</sup>.

### 16- ذكر طرابلس:

يذكر العبدري مدينة طرابلس يقول فيها: « لا ترى بها شجرا ولا ثمرا، ولا تخوض في أرجائها حوضا ولا نهرا، ولا تجتلي روضا يحوي نورا ولا زهرا، بل هي أفقر من جوف حمار وأهلها سواسية كأسنان الحمار، ليس لناشيء منهم فضل لذي شيبية، ولا لذي الفضل منهم هيبة »<sup>4</sup>، فالعبدري يصف مدينة طرابلس بأنها خالية من الشجر والثمر لا غنى فيها، تفتقر للعلم والعلماء، وأهلها سواسية لا تجد فيها عالم أو عارف، يقول ناثرا قول كثير عزة :

سواء كأسنان الحمار فلا ترى لذي شيبية منهم على ناشئ فضلا

<sup>1</sup> - محمد العبدري البلنسي، مرجع سابق، ص 102.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 116.

<sup>3</sup> - محمد العبدري البلنسي، المرجع نفسه، ص 117.

<sup>4</sup> - علي ابراهيم كردي، مرجع سابق، ص 99.

ثم يصف مدينة طرابلس مجددا فيقول: « وهي للجهل مأثم، وما للعلم بها عرس، اقفرت طاهرا وباطنا، ودمّها الخبير بها سائرا وقاطنا، تلمع لقاصدها لمعان البرق الخلب (...). ترى أجساما حاضرة والعقول في عقل غيابات الغيبة، ملابس يلبسها ليلبس بها من ملابس العيوب العيبة »<sup>1</sup>.

### 17- ذكر مصراطة:

حيث مر على مصراطة وذلك في قوله: « هو بلد لم يجو إلا جفانه، وشأنه أحقر من يعمل فيه الوصف مقوله أو أدواته، على أنه ذو قرى ظاهرة، ومناظر عند ظهورها باهرة، تخيل الحسن إذا نظرت وتخيله إذا اعتبرت »<sup>2</sup>.

### 18- ذكر قصور سرت:

في قصور سرت يقول: « وهذا الإسم يطلق على عدة قصور بينها مسافة، أولها يسمى " الشبيكة"، وهي أعمارها في هذا الوقت وأخرها يسمى " المدينة"، وأكثر ما يطلق اسم سرت عليها، وحكمها كأنها حكم القفار». وقد ذكر البكري في مسالكة أن سرت مدينة كبيرة على ساحل البحر لها نخل و بساتين<sup>3</sup>، وكل هذا يدل على بهاءها وجمالها.

### 19- ذكر برقة:

لقد أعجب العبدري بعرب برقة ووصفهم بالفصاحة في القول، يقول فيهم: « وعرب برقة اليوم من أفصح عرب رأيناهم (...). لم يكثر ورود الناس عليهم، فلم يختلط كلامهم بغيره» وهذا تفسير علمي صحيح أن الجماعات المنقطعة في ناحية، تكون لغتها أكثر محافظة من غيرها، وهذا ما حمل القدماء على تأخير زمن الإستشهاد بشعر أهل البادية عن شعر أهل

<sup>1</sup>-محمد العبدري، مرجع سابق، ص ص 184-185.

<sup>2</sup>- محمد العبدري البننسي، مرجع سابق، ص 131.

<sup>3</sup>- محمد العبدري، مرجع سابق، ص 201.

المدن والحضر<sup>1</sup>، يقول أيضا: « (...) وقد سألت بدويا وجدته يسقي إبله في الحصوي عن ماء يقال له "أبو شمال" هل نمر عليه؟ وذكرته بالواو في موضع الخفض على عادة أهل الغرب، فقال لي: نعم تطؤون أبا شمال، وأثبت النون في الفعل ونصب المفعول، وليس في الغرب عربي ولا حضري يفعل ذلك.»

من أمثلة فصاحة أطفال برقة قوله: «ومررنا بأطفال منهم يلعبون، فقال لنا واحد منهم: يا حجاج أمعكم شيء تبيعونه؟ وأثبت النون وسكن الهاء للوقف»<sup>2</sup>.

وقد أخذ على أهل برقة استخدام نسائهم في البيع والشراء فقال عنهم: «ويستعملون نساءهم في البيع والشراء، فلا يتوصل الحاج إلى شراء القوت إلا بعرض مبتذل، وحال ممقوت»، ويخبرنا عن أزياء نساء برقة يقول: «ومن العجب عندهم أن كل امرأة لا بد لها من خرقة تسدلها على وجهها ويسمونها "البرقع"، وهي تتخلل الناس مكشوفة الرأس والأطراف حافية القدمين، ولا تهتم بستر ما سوى وجهها، كأن ليس لها عورة سواه، فلا تزال تلك الخرقة عرضة للإتساخ، ومرصدا لعارض الأوساخ»<sup>3</sup>.

يقول أيضا فيها: «وبرقة مدينة قديمة من بناء الروم وكان اسمها عند أنطابلس (...) وليس الآن هناك مدينة تسمى برقة ولا مدينة مذكورة إلا ظلميثة (...) وبرقة الآن عند الناس اسم ارض لا إسم مدينة، والمغاربية يسمون بها ما وردت عين أقيان من غربي أجدابية إلى الإسكندرية»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- علي ابراهيم كردي، مرجع سابق، ص 112.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص 113.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص ص 118-119.

<sup>4</sup>- محمد العبدري البننسي، مرجع سابق، ص 135.

## 20- ذكر الإسكندرية:

يقول واصفا الإسكندرية: « مدينة الحصانة والثاقاة، وبلد الإشراق اللامع والطلاقة وطلاوة المنظر وحلاوة المذاقة، كل عنها ظفر الزمان و نابه (...). ولا وكست لها في معاملته سلعة ولا بضاعة، ولا وفقت له موقف ذل يوما ولا ساعة »<sup>1</sup>.

كما يقول في أهل الإسكندرية: « (...) ومن الأمر المستغرب، والحال الذي أفصح عن قلة دينهم وأعرب أنهم يعترضون الحجاج، ويجرعونهم من بحر الإهانة الملح الأجاج ويأخذون على وفدهم الطرق والفجاج، ويبحثون عما بأيديهم من مال، ويأمرون بتفتيش النساء والرجال »<sup>2</sup>، ويقول أيضا: « (...) مدينة فسيحة الميدان، صحيحة الأركان مليحة البنيان، تسفر عن محيا جميل المنظر، وترنو بطرف ساج أحور، وتبسم عن ثغر كالأقحوان إذا نور، كأنه لم يغب عنها شخص الإسكندر، بما ساس فيها من عجائب مبانيها ودبر ناهيك بمدينة كلها عجب، قد ستر حسننا حسن غيرها وحجب (...). ومن جملة إبداعها وإغرابها ما رأيت من إتقان أبوابها، وذلك أن عضائدها وعتبها مع إفراط طول الأبواب كلها من حجارة منحوتة (...) » ثم يتحدث عن "عمود السواري" يقول: « ومن أغرب ما رأيت بها عمود من رخام بمظاهرها يعرف بعمود السواري؛ وهو حجر واحد مستدير عالٍ جدا على قدر الصومعة المرتفعة، وهو يبدو من بعيد بارزا في غابة من النخيل مرتفعا عنها، وقد أقيم على حجارة منحوتة مربعة على قدر الدكاكين العظام (...) وهو مما لا يمكن تحريكه البتة فضلا عن إقامته هناك »<sup>3</sup>.

يتحدث العبدري عن منار الإسكندرية يقول: « (...) وقد دخلته وتأملمته وما وصلت إلى أعلاه إلا بعد جهد (...) وهو خارج المدينة على أزيد من ثلاثة أميال، وعلى تلٍ مرتفع بشمال

<sup>1</sup>- على ابراهيم كردي، مرجع سابق، ص 95.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص ص 89-90.

<sup>3</sup>- محمد العبدري، مرجع سابق، ص ص 211-213.

البلد، وقد أحاط به البحر شرقا وغربا حتى تأكل حجره من الناحيتين». ثم يتحدث عن باب المنار يقول: «وباب المنار مرتفع عن الأرض نحو أربع قامات، وبنى إليه بنيان حتى حاذاه، ووضعت عليه ألواح يمشى عليها إلى الباب (...) وفوق الباب من داخل موضع متسع لحراسة الباب، يقعد فيه الحارس وينام فيه»<sup>1</sup>.

## 21- ذكر مصر:

يتحدث عن مصر فيقول عن القاهرة: «تريك صورة ليلي في عين ابن الحمير، وتسفر لك خيرتها عن وجه كثير، وتلبد الذكي التحرير وتحير»<sup>2</sup>، وكذلك ذمّه لأهل القاهرة وأخلاقهم إذ وصف القاهرة وأهلها وصف ناقد حازق، وكان قوي الملاحظة فسجل ما رآه من العيوب التي أحسها هو عند المصريين<sup>3</sup>.

في قوله عن روضة السيدة "نفيسة" في القاهرة: «عليها رباط مشهور ومحل محفود محشود، تصب بها ديم العناية الربانية وتجد، ولأمر ما يسود من يسود»<sup>4</sup>.

بالإضافة إلى هذا فقد وصف العبدري سوء عادات وأخلاق أهل مصر على وجه العموم وصفا دقيقا، منبها إلى انتشار الأعمال المنكرة في المجتمع فعن أهل القاهرة قال: «وحسبها شرا أنها جرين لحتالة العباد، ورعاء لنفاية البلاد، ومستقر لكل من يسعى في الأرض بالفساد، من أضاف أهل الشقاق والعناد والإلحاد، استولى الحسد على قلوبهم واستولى الغش في جيوبهم، فنار الحسد مضطربة في الجواع، وسهم الغش ممزوج في عسل

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 213.

<sup>2</sup> - علي إبراهيم كردي، مرجع سابق، ص 100.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 90.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 99.

النصائح»<sup>1</sup>. إن هذا النص يوضح أن العبدري قد أعطى نتيجة نهائية وحكما مطلقا لما ساد في القاهرة.

في مكان آخر ذكر إهمالهم للنظافة وقلة التحفظ وذلك في قوله: «ومن الغريب عندهم تضييع المساجد والجوامع وإهمالها وقلة التحفظ فيها، حتى تصير مثل المزابل». وعن عاداتهم يقول: «ومن المألوف عندهم الأكل في الأسواق والطرقات والمحافل»<sup>2</sup>.

لقد أعار العبدري اهتماما خاص لمشاهداته في أثناء تجواله داخل البلدان والمدن التي زارها، فوصف أثارها المختلفة، وتحدث عن الأضرحة والزوايا كوصف منار الإسكندرية وعمود السوّاري، والأهرام والبرابي وروضة الإمام الشافعي، وروضة السيدة "نفيسة"<sup>3</sup>.

وعن تدني أخلاق أهل مصر يقول: «وقد رأيت فيهم من قلة الحياء، وعدم التنزه عن الفحش، ومن قلة التستر عند قضاء الحاجة، والأكل ما تقضيت منه العجب، وأما بغضهم للغريب، وتمالؤهم على ذلك، فأمر لا يحيط به علما إلا من عاينه (...) وما رأيت بالمغرب الأقصى والأندلس على شكاسة أخلاقهم، ولا بإفريقية وأرض برقة والحجاز والشام فريفا، من الناس أرذل أخلاقا، وأكثر لؤما وحسدا، ومهانة نفوس، وأضغن قلوبا، وأوسخ أعرضا، وأشد دمامة وخيانة، وسرقة وقساوة، وأجفي للغريب من أهل هذه المدينة»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> -ساجدة عبد كاظم الحساني، رحلات المغاربة والاندلسيين الى الحجاز في القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني والثالث عشر الميلاديين، (مذكرة ماستر)، كلية الآداب جامعة الكوفة، قسم التاريخ، الاستاذ رياض حميد مجيد الجوّاري 2010، ص77.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص78.

<sup>3</sup> -علي ابراهيم كردي، مرجع سابق، ص117.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 131.

وعن نيل مصر يقول: « ونيلها من عجائب الدنيا عذوبة، واتساعا، وغلّة، وانتقاعا، وقد وضعت عليه المدائن والقرى فصار كسلك انتظم دررا(...) قال البكري: وليس وفي الأرض نهر يسمى بحرا ويمًا غيره ». قال: « وليس في الدنيا نهر يزرع عليه ما يزرع على النيل»<sup>1</sup>.

ثم ينتقل إلى وصف الأهرام والبرابي والمباني العجيبة يقول: « أما أهرامها وبرابيها فمبان عجيبة في غاية الغرابة، مضمّنة من الحكمة وغرائب العلوم ماصار أعجوبة، على وجه الدهر(...) والأهرام مبان من حجارة، صارت لإحكامها كالحجر الواحد، في غاية العلو متسعة الأسفل مستديرة الشكل، فكما طلعت انخرطت حتى صار أعلاها حادا على شكل المخروط، وليس لها باب ولا مدخل ولا يعلم كيف بنيت »<sup>2</sup>.

## 22- ذكر أيلة:

يقول في عقبة أيلة: « كثيرا من الحجاج من يتجهز منها، ولكن الأمل ربما غرّ فضرّ »<sup>3</sup>.

حكى عن أبي عبيدة: « أنها مدينة على شاطئ البحر من بلاد الشام، وهي نصف الطريق من فسطاط مصر إلى مكة ». وذكرها المتيجي صاحب "الرسالة في القبلة" في رسالته فقال: « إن منها إلى مكة نصف شهر، فغلط فيها أيضا كما رأيت، وذلك غير مستنكر، فإن من لم يشاهد الشيء يصعب عليه وصفه، وقلما يسلم فيه من الغلط ». ويذكر في معرض كلامه عن عقبة أيلة: « وعقبة أيلة المذكورة عقبة كؤود، شاقه طويلة، مسافتها نحو من خمسة أميال، تضرّ بالناس، وتقتل بالجمال وخصوصا في الرجوع(...) وأيلة من أسواق الركب الكبار(...) لأن مجمع المصريين والشاميين يتجمعونها في طلوع الركب ورجوعه بأنواع المبيعات، ولاسيما الطعام وربما كثر بها حتى يزيد سعره على سعر الشام ومصر»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>-محمد العبدري، مرجع سابق، ص ص 312-313

<sup>2</sup>- المرجع نفسه ، ص ص 315-316.

<sup>3</sup>-علي ابراهيم كردي، مرجع سابق، ص100.

<sup>4</sup>-محمد العبدري، مرجع سابق، ص ص 337-340.

**23- الدهناء:**

ينتقل العبدري أثناء رحلته إلى الدهناء ويقول فيها الكلام القليل: «ومن ينبع إلى الدهناء مسيرة نصف يوم، وهي من عمل ينبع، وبها ماء معين، ونخل كثير، وأرضها سبخة، وماؤها طيب»<sup>1</sup>.

**24- ذكر بدر:**

يكمل العبدري وصف مسار رحلته بوصوله إلى بدر يقول: «ومنها إلى بدر مسيرة يومين وهو واد به ماء معين، ونخل وعمارة ليست بالكثيرة، وماؤه طيب، وبه مسجد مختصر مليح، ذكروا أنه بني في موضع العريش الذي كان فيه رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يوم بدر» ثم يتحدث عن سكانها قائلاً: «وأكثر سكان بدر ضعفاء، وهم روضة، وكذلك أكثر أهل المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام» ثم ينتقل بالحديث إلى ذكر مقبرة المسجد يقول: "وفي غربي المسجد مقبرة كبيرة، وفيها قبور شهداء بدر-رضوان الله عنهم- (...) وهنالك شبه غار ويذكرون تخرصاً أنه الغار الذي دخله رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وأبو بكر-رضي الله عنه-حين هاجرا من مكة، وذلك باطل، فإن الغار المذكور بجبل ثور قريبا من مكة وفي ناحية الجنوب منها»<sup>2</sup>.

**25- ذكر خليص:**

يذكر الرحالة انتقاله من الجحفة إلى خليص يقول: «وهي قليعة منيعة على شرف مرتفع ولها نخل كثير وماء جار طيب، وصاحبها من الشرفاء، مستبد بها، وهو رجل صالح محب

<sup>1</sup>- محمد العبدري، مرجع سابق، ص346.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص ص 346- 347.

في الحجاج، مكرم لهم (...). والعربان تقيم هنالك سوق عظيمة، ويجابون إليها الغنم والتمر والإدام فيكثر العيش بها ويرخص<sup>1</sup>.

## 26- ذكر بطن مرّ:

يقول: «ومن خليص إلى بطن مرّ ثلاثة أيام وهو واد به نخل كثير، وماء جار وعمارة وهو من عمل مكة-شرفها الله- وهو مرّ الظهران المذكور في الحديث<sup>2</sup>».

## 27- ذكر مكة:

ثم يواصل العبدري رحلته إلى مكة فيقول: «إن مكة شرفها الله من عظيم آيات الله في الأرض الدالة على عظيم قدرته، فإنها بلد يسبي عقول الخلق ويستولي على قلوبهم (...). فالنفوس إليه نزاعة من كل أرض ولا يدخله أحد إلا أخذ بمجامع قلبه مع عدم الدواعي إلى غير ذلك ولا يفارقه إلا وله حنين<sup>3</sup>».

ثم ينتقل الرحالة إلى وصف المناظر الطبيعية في مكة يقول: «وهي-شرفها الله- بلدة كبيرة متصلة البنيان في بطن واد بين جبال محيطة بها، لا يراها القاصد إليها حتى يشرف عليها والجبال المحيطة بها ليست شامخة وبنيانها أخذ في الإستطالة مع الوادي، ولا سور لها (...). وأما المسجد الحرام فهو وسط البلد، كبير متسع، يكون طوله أزيد من أربع مئة ذراع (...). وطوله من الشرق إلى الغرب، وهو قريب من التربع، يخيل إلى الناظر إليه أنه مربع مفروش برمل أبيض جميل المنظر جداً، محكم العمل، عجيب الصنعة كثير الإشراف مرتفع الحيطان نحو عشرين ذراعاً، ودوره كله مسقف على أعمدة عالية<sup>4</sup>».

<sup>1</sup>- محمد العبدري، المرجع سابق، ص 351.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص 352.

<sup>3</sup>-ساجدة عبد كاظم الحساني، مرجع سابق، ص 99.

<sup>4</sup>-محمد العبدري، مرجع سابق، ص ص 364-367.

ثم يذكر بئر زمزم قائلاً: « وفي شرقي الكعبة بإزاء الباب قبة زمزم على البئر، كبيرة متسعة مربعة، وفي دورتها حياض متقنة العمل، دائرة مع القبة، تملأ بالماء للوضوء، وعلى البئر تنور من رخام، وعمق البئر من أعلاه إلى سطح الماء كما ذكروا نحو من ثلاثين ذراعاً<sup>1</sup> .

## 28- ذكر المدينة المنورة:

ثم ينتقل إلى وصف المدينة المنورة فيقول: « وفي ضحى يوم الثامن والعشرين من ذي الحجة وصلنا إلى معهد الفضائل المشهورة، ومعهد ألوية الدين المنشورة محتد المآثر المذكورة المأثورة (...). روضة أزهار الأنام، ومشرق أنوار بدر التمام<sup>2</sup> .

ثم يصف مسجد النبي -صلى الله عليه وسلم- فيقول: « فعلى صورة المسجد الحرام إلا أنه في الساحة دونه بكثير وعرضه على النصف من طوله، وطوله من الجنوب إلى الشمال وعرضه من الشرق إلى الغرب، وهو عالي السمك مبيض، مدور بالسقائف عجيب المنظر وسطه فضاء مفروش برمل أحمر (...). وفيه المحراب، وهي خمسة صفوف وفي مؤخر المسجد، وفي ناحية الشمال أربعة صفوف، وفي ناحية الشرق ثلاثة صفوف، وفي الغرب أربعة صفوف، ومن الناحية الشمالية من فضاء المسجد بيت مربع وقد وسع المسجد مرارا بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكان المسجد من موضع المنبر إلى الروضة المقدسة شرقاً وغرباً<sup>3</sup> .

نستخلص أن رحلة العبدري كغيرها من الرحلات، فقد احتوت على معلومات جلية، رسم من خلالها دقة الطريق بأحسن الصور مع جودة الوصف، بتحديد المراكز التي يحط فيها الحجاج أثناء طريقهم إلى الحج، مستخدماً عبارات منمقة وأسلوب رشيق يستميل السمع

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 369.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 419.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص ص 423-424.

ويُضفي رونقا خلابا على الرحلة، معتمدا الأحكام القاسية على ما يصادفه من قلة العلم والعلماء وخلو المساجد من العباد، وكذا سوء الأحوال والأخلاق والمعاملات، حيث حفلت هذه الأخيرة بوصف دقيق جدا للأماكن والمعالم والسكان والظواهر، فكانت رحلته عبارة عن رحلة شاهد عيان اعتمدت المشاهدة العينية الدقيقة.

# الفصل الثاني

## مضامين رحلة العبدري الشعرية

المبحث الأول: ترجمة المؤلف

المبحث الثاني: رحلة العبدري الشعرية

المبحث الثالث: مقارنة رحلة العبدري

الشعرية برحلته النثرية

## مقدمة:

لقد شغلت الرحلات حيزا كبيرا ومكانة مرموقة في الثقافة العربية، حيث يعد أدب الرحلة لونا أدبيا تعددت أغراضه ودوافعه وأسباب الميل إليه، وتتنوع مقاصده الدينية والعلمية تارة والسياسية والاقتصادية تارة أخرى.

ولمّا كان الإنسان اجتماعيا بفطرته أوجبت عليه الرحلة التنقل والتواصل بين المجتمعات لإثراء معارفه والاستزادة من علمهم وثقافتهم وكذا التعرف على عاداتهم وتقاليدهم وفنون القول لديهم وفصاحتهم.

يعتبر أدب الرحلة منبعاً لشتى العلوم والمعارف كالجغرافيا وعلم الاجتماع والاقتصاد والأساطير، لذا تتجلى أهميته في كونه علم قائم بذاته مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمؤلف، حيث يكون مؤلف الرحلة شاهد عيان على ما يدور من أحداث وظواهر في مختلف المجتمعات يصور حالها في أحسن الصور بأبهى وصف وتشبيه معتمدا الوسائل التي تساعده في إخراج رحلته بأبهى صورة للقارئ وقد يعرض أثناء وصفه لما يراه في مختلف البلدان سلوكات وأخلاق ذلك البلد معلقا عليها بالإيجاب أحيانا أو بالسلب أحيانا أخرى دون أن ينسى ذكر العلماء والفقهاء وآثارهم العلمية المستفاد منها، فجاءت عباراتهم جزلة رصينة يغلب عليها أسلوب قصصي جذاب يستهوي نفس المتلقي متوخيا الأمانة العلمية ودقة التصوير.

لقد تنوعت مقصدية الرحالة المسلمين في رحلاتهم، تتجلى في الحج وزيارة بيت الله الحرام وتتعدى إلى رحلات التجارة والسفارة، وفيهم من الرحالة من كانت غايته الاستكشاف والسياحة والترفيه عن النفس، حيث عرف جملة من الرحالين أبدعوا في هذا النوع الأدبي وتركوا بصمتهم خالدة على مر الأزمان والأمصار، فعلى سبيل المثال نذكر الرحالة ابن جبير في وصفه للمدن، حيث نجد حسين نصار يشير في دراسته للرحلة نفسها أن ابن جبير كان يعنى بوصف المدن بثلاث نواح: المرافق، المشاهد والأرياض، وتضم المرافق في خلدة:

الأسوار والحصون والمساجد، والمدارس، والحمامات والمياه، والأسواق، والمارستانان والمنازل والشوارع والأبواب. وتضم المشاهد المقابر، والمولد، وآثار الأنبياء والعلماء والأولياء والمواقع الإسلامية، والمعابد والكنائس والآثار غير الإسلامية. وتضم الأرباض الأحياء والضواحي<sup>1</sup>.

يرجع المؤرخون أن ابن جبیر كان يسجل ما يشاهده في أوراق منفصلة على شكل مذكرات يومية، إذ نجد مع وصف كل بلدة أو جزيرة، تاريخ الزيارة أو المشاهدة باليوم والشهر (...). كما أبدى إعجابه بصلاح الدين في السلم والحرب (...). وكان يتابع أخباره باهتمام ويرصد إنجازاته بغير قليل من الزهور والرضا (...). وقد كتب رحلته بلغة سهلة بسيطة عباراتها مفصلة على قدر ما تحمل من معنى، لا ثرثرة فيها ولا استطرادات أو تكرار وطريقته في السرد محببة إلى النفس تتسم عباراته بجمال التركيب وحلاوة البيان، وهو يجيد صناعة السجع وسبكه<sup>2</sup>.

أجاد ابن جبیر وصف البلاد والعباد وأحوالهم الاقتصادية، وأهم المنتجات والسلع السائدة (...). فكان صادقاً في الوصف والتعبير، ولم يسع إلى الغرائب والعجائب مثل من سبقه من الرحالة الذين أغرموا بذكرها، وقد اتسمت أغلب تعبيراته بالتوازن الذي تفرضه طبيعته كرجل دين وأدب<sup>3</sup>.

من الذين حظوا باهتمام بالغ وشهرة واسعة ومكانة عالمية في أدب الرحلات نجد أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الشهير بابن بطوطة حيث لقب بأعظم الرحالة المسلمين على الإطلاق، ففي رحلته نلمح وصفه للمناسبات والاحتفالات وإن بدا فيها بعض المبالغات على زعم البعض، فهي توضح ولا شك طبيعة التفاعل بين الهنود والمسلمين بعد ثلاثة قرون تقريباً منذ الفتح الإسلامي يقول حسين مؤنس: « إن رحلة ابن

<sup>1</sup> - حسين محمد فهيم، مرجع سابق، ص 14.

<sup>2</sup> - فؤاد قنديل، مرجع سابق، ص ص 386 - 389.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص ص 389 - 390.

بطوطة قد أبرزت الجانب المشرق من الحضارة الإسلامية، فإن كان التاريخ الإسلامي يشير في بعض عصوره، إلى أحداث لا ترتاح إليها النفس فقد جاءت رحلة ابن بطوطة لتؤكد لنا وجود عالم إسلام آخر يخلو من الحروب والصراع والقتل والتدمير»<sup>1</sup>.

هكذا نجد، فيما أورده ابن بطوطة من المعلومات، مثالا آخر وشاهدا كبيرا على مدى إسهام تلك الرحلة وغيرها في التعريف بهذا العالم، أقطاره وشعوبه، وبالناس والأقوام في خلقتهم وخلقهم - إن صح هذا التعبير - وذلك إبان تلك الحقبة الزمنية التي لم يكن السفر البعيد عبر البراري والبحار سهلا، ولا ميسرا إلا لمن استهوتهم الرغبة في الاكتشاف، ومن دفعتهم المغامرة وحب الجديد والتغيير إلى التجوال في البقاع ومخالطة الناس والأقوام<sup>2</sup>. يقول ابن حجر فيه: « أن لا احد جال البلاد كرحلته وكان مع ذلك جوادا محسنا<sup>3</sup>، وعن لغة ابن بطوطة في رحلته فإننا نلمح أسلوبين جليين مختلفين في نص الرحلة، أولهما سردي روائي بسيط، وثانيهما يميل بشكل واضح إلى السجع، والتصنيع في الأسلوب باستخدام المحسنات البلاغية، وتضمن الكثير من المقطوعات الشعرية (... ) واغلبها يقع في مستهل ارتحال جديد أو عند الدخول إلى مدينة جديدة<sup>4</sup>.

خلاصة القول أن هناك العديد من الرحالة المشاركة والمغاربة لم نتطرق إلى ذكرهم بل اقتصرنا ذكر ابن جبير وابن بطوطة فقط باعتبارهما من أشهر الرحالة الذين ساهموا في رسم حدود العالم وتطلعاته من خلال رحلاتهم المحفوفة بالمخاطر.

<sup>1</sup> - حسين محمد فهيم، مرجع سابق، ص ص 22 - 23.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص ص 24 - 25.

<sup>3</sup> - شادي حكمت ناصر، مرجع سابق، ص ص 11 - 12.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 19.

## المبحث الأول: ترجمة المؤلف

## 1- اسمه ونسبه:

هو محمد بن أحمد بن علي بن أحمد بن مسعود ( أو مسعود)، أبو عبد الله الحياحي المشهور بالعبدري، نسبة إلى عبد الدار، وهي قبيلة من جنوب المغرب الأقصى، وهو صاحب «الرحلة» المعروفة باسمه، أصله من بلنسية بالأندلس، وكان يسكن في بلدة «حاحة» بالمغرب الأقصى، وكذلك أقام مدة من الزمن في قرية تقع على الطريق بين بسكرة وتوزر بالمغرب الأوسط<sup>1</sup>.

ينتهي نسبه إلى جده الأعلى عبد الدار بن قصي القدسي، فهو عربي صميم مثل زميله الرحالة الأندلسي ابن جبير الذي سبقه إلى الرحلة الحجازية بتسع وثمانين عاما. وقد ذكر لنا ابن غالب في كتابه « فرحة الأنفس» أن كثيرا من البطون العربية التي استقرت بالأندلس وبعض من كان ينتمي إليها من الأسر الأندلسية النابهة، وذكر لنا من منازلها بلنسية وأوريولة وإشبيلية وغرناطة ووادي آش<sup>2</sup>.

لم تفصح المصادر القديمة عن حياة العبدري، فقد أهمله أصحاب كتب التراجم والطبقات والفهارس وأقدم من ترجم له هو "ابن القاضي المكناسي" في كتاب "جذوة الإقتباس"، غير أن هذه الترجمة جاءت قصيرة مختصرة لا تكاد تفيد كثيرا فهي لا تذكر تاريخ ولادته ولا زمن وفاته ولا تفصّل في أخبار نشأته. ويبدو أن ابن القاضي استمد ترجمة العبدري من رحلته وكذلك فعل من جاء بعده وترجم للعبدري، فالرحلة - فيما نظن - هي المصدر الرئيسي الذي أخذ عنه كل الذين ترجموا للمؤلف ولولاها لضاع ذكره.

<sup>1</sup> - محمد العبدري البلنسي، مرجع سابق، ص 7.

<sup>2</sup> - أحمد رمضان أحمد، مرجع سابق، ص 347.

لقد تضاربت الآراء حول أصله، فبعض الباحثين ممن ترجموا له عدّوه أندلسياً هاجر من الأندلس إبان اشتعالها بالحروب والفتن، واستقر في حاحة على شاطئ المحيط الأطلسي وبعضهم يرى أن أسرة "العبدري" كانت تقطن في بلنسية ثم هاجرت إلى المغرب، وأقامت فيه وثمة كانت ولادة المؤلف، ولعل هذه النشأة هي التي حملت الأستاذ "الفاسي" على القول: «إن العبدري مغربي لا أندلسي»<sup>1</sup>.

والراجح أن يكون من عائلة علم فقد نعت والده بالشيخ الصالح الخطيب في بداية نسخة الرحلة المخطوطة في الرباط، إلى جانب اهتمامات شقيقه العلمية. وفيما يبدو أنه تلقى تعليمه بمراكش لأنه ارتبط فيها بصلة قوية مع عدد من علمائها ومنهم ابن عبد الملك المراكشي.<sup>2</sup>

كان خروجه من بلاده سنة (688هـ) فمرّ على منطقة سوس قاطعاً الجنوب المغربي من الغرب إلى الشرق إلى تلمسان، وتونس، والقيروان ثم قابس، وطرابلس، وبرقة، والإسكندرية ثم القاهرة، ومنها قصد مكة المكرمة لقضاء فريضة الحج، وتوجه بعد ذلك إلى المدينة المنورة ثم مدينة الخليل وبيت المقدس، ومنها إلى القاهرة، ثم شرع في الرجوع إلى بلاده عن طريق تونس والجزائر ووصل إلى مدينة تازا في فاس، ثم رحل منها إلى أن وصل إلى مدينة أزمور ثم إلى مدينة أسفي. لا يعرف ميلاده، وتوفي نحو (800هـ)، وقد نشرت رحلته في المغرب سنة (1968) بمقدمة لمحمد الفاسي.<sup>3</sup>

كان أديباً بارعاً وشاعراً مجيداً، له الرحلة المغربية أو العبدرية، جمع فيها بعض أشعاره وقد بدأ رحلته في الخامس والعشرين من ذي القعدة عام (688هـ). ولم نتمكن من معرفة

<sup>1</sup> - علي إبراهيم كردي، مرجع سابق، ص ص 81-82.

<sup>2</sup> - عواطف محمد يوسف النواب، مرجع سابق، ص 117.

<sup>3</sup> - نوال عبد الرحمن الشوابكة، مرجع سابق، ص 28.

سنة الولادة والوفاة<sup>1</sup>. ويرى الدكتور شوقي عطا الله الجمل أن العبدري ولد في فاس، وقد تفرد بهذا الرأي، ويبدو أنه خلط بين رحالتنا وبين ابن الحاج الفاسي صاحب كتاب "المدخل"، أما عن تاريخ ولادته ووفاته فمجهولان (...). فإذا افترضنا أنه كان حين ذاك بين الخامسة والعشرين والثلاثين من عمره تكون ولادته في آخر العقد الخامس وأوائل السادس من القرن السابع للهجرة، ونظن أن وفاته كانت بعد سنة سبع مئة للهجرة وهذا قريب مما قدره الدكتور "عمر فروخ" - رحمه الله - إذ جعل وفاته سنة (720هـ)<sup>2</sup>.

يبدو أنه قضى جانباً كبيراً من حياته في المغرب الأقصى حتى عُرف أيضاً باسم "الحيحي" نسبة إلى حاحة التي تبعد عن مدينة الصويرة بحوالي ستين كيلومتر، وقبره معروف فيها ويطلق عليه اسم "سيدي أبو البركات"<sup>3</sup>.

أفاد العبدري من كثرة مشايخه، وتتنوع ثقافتهم فأتقن كثيراً من الفنون ظهرت جلية في رحلته التي بدا فيها المؤلف حافظاً للقرآن والحديث، مطلعاً على الأدب العربي، نثره وشعره وخطبه ورسائله، عارفاً بأيام العرب وغزواتهم وفصحاء خطبائهم، وله معرفة بالأسماء والألقاب والكنى وأسماء الأماكن، وبمصطلحات علوم الأدب والبلاغة والعروض<sup>4</sup>.

## 2- صفاته الخلقية:

فيها الحدة والغضب والسخط وعدم الرضا، كان صادقاً في أحكامه على أهل المدن ضئيلي الثقافة فهو ما أن يحس بذلك حتى يسارع إلى رميهم بأقبح الذم والهجاء معتقداً

<sup>1</sup>- نوار بوحلاسة، الممتع الداني من الشعر الزياتي، ج1، ص105.

<sup>2</sup>- علي ابراهيم الكردي، مرجع سابق، ص84.

<sup>3</sup>- محمد العبدري البننسي، مرجع سابق، ص8.

<sup>4</sup>- محمد العبدري، مرجع سابق، ص8.

صواب ما يفعل. وقد نقده "ابن عبد السلام الناصري" في هذا الجانب رغم عدم إنكاره لعلمه وفضله وهو ما لم يعهد في رحالة قبله أو بعده<sup>1</sup>.

### 3- مؤلفاته:

كان الرجل قليل التأليف، وتتنحصر مؤلفاته في ثلاثة هي:

1 -مدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة (مطبوع في ثلاثة أجزاء).

2 -رحلة العبدري أو الرحلة المغربية.

3 -شموس الأنوار وكنوز الأسرار في علم الحروف وروحانيته<sup>2</sup>.

### 4- تسميتها:

اختلف الباحثون في اسم هذه الرحلة فمنهم من يسميها رحلة العبدري وبعضهم يسميها الرحلة المغربية. وإذا عدنا إلى النسخ المخطوطة المتوفرة لدينا من هذه الرحلة، نجد أن اسمها لم يكن واحداً في جميع هذه النسخ، فقد كتب على غلاف نسخة باريس "رحلة العبدري" وهي الرحلة المغربية، وقريباً منه ما كتب على غلاف نسخة تونس "رحلة الشيخ العبدري" وهذا يدلنا على الرحلة عرفت باسم صاحبها، وهذا أمر مألوف في الرّحل عمومًا والمغربية والأندلسية خصوصًا (...). وقد ذهب هذا المذهب الأستاذ أحمد بن جدو الذي نشر قسماً من رحلة العبدري في الجزائر فأشار إلى احتمال أن يكون اسمها الجملة التي ذكرها العبدري في مقدمة الرحلة «ما سما إليه الناظر المطرق في خبر الرّحلة إلى بلاد المشرق» أما الأستاذ محمد الفاسي ناشر طبعة الرباط فيرى أن العبدري سمّى رحلته "الرحلة المغربية" وإنما قصد بها أنه قطع كل بلاد المغرب في طريقه إلى بلاد المشرق<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - عواطف محمد يوسف النواب، مرجع سابق، ص 117.

<sup>2</sup> - فؤاد قنديل، مرجع سابق، ص 465.

<sup>3</sup> - علي إبراهيم كردي، مرجع سابق، ص ص 85-86.

## 5- دوافع رحلته:

كانت لأداء فريضة الحج والعلم والتجارة. ونلمس ذلك بوضوح في إشارته إلى أنه كان يحمل القمح لبيعه في مكة المكرمة دلالة على اشتغاله بالتجارة والتي لم يشر أحد إليها (...). لم يبدأ بتدوين رحلته إلا بتلمسان، وأسماها الرحلة المغربية والتي ربما أخذت اسمها من الطريق البري الذي سلكه في شمال إفريقيا مع الأخذ في الحسبان أنه من ساكني بلاد المغرب<sup>1</sup>.

يمكن تمييز سببين حملا العبدري على المُضي في رحلته هما:

**الأول:** سبب ديني: وهو القيام بفريضة الحج، وزيارة الأماكن المقدسة، والاتصال بالمتصوفة والصالحين، وقد صرح العبدري مرارا بأنه كان ينوي الإقامة بمكة والمجاورة بها، وبأنه قد اكرتري المنزل وجهاز لوازمه، وصرف الركب إلى المغرب لولا حدوث فتنة هناك أرغمته على الرحيل عن مكة.

**الثاني:** هو رغبته في لقاء العلماء والمشايخ والأخذ عنهم، وكان حريصًا على البحث عن السند العالي فيما يأخذه عن هؤلاء العلماء والمحدثين (...). فإذا صادف مجموعة من العلماء في بلد من البلاد طرب لذلك وانشرحت نفسه فينطلق لسانه ثناءً وحمدًا كما حدث معه في تونس، وإذا لم يجد هذا النوع من العلماء يهجو بلسانه الذَّرب هذه البلاد أهلها كما صنع في قابس وطرابلس<sup>2</sup>.

## 6- مميزات رحلته وأسلوبه فيها:

لقد أوضح "العبدري" المنهج الذي سيتبعه في تقييده لرحلته وذلك في قوله انه سيقيد ما أمكنه تقييده بطريقة تجعل الناظر إليه يسمو مطرقًا، كما أنه سيذكر وصفًا للبلدان التي زارها

<sup>1</sup> عواطف محمد يوسف النواب، مرجع سابق، ص 118.

<sup>2</sup> علي إبراهيم كردي، مرجع سابق، ص 87.

وأحوال ساكنيها بقدر ما يدركه ويعانيه بالمشاهدة من غير إخفاء القبيح أو تحسينه ولا تقبيح الحسن أو إخفائه، مظهرًا ذلك كله بصورة واضحة بحيث يكون السامع كالناظر».

لقد سار في تقييده على ما رسمه لنفسه، فمن ذلك نقده اللاذع وذمه المقدح لأهل المدن التي مر بها بسبب قلة اهتماماتهم العلمية فجعل اهتمامه منصبا على هذه الناحية<sup>1</sup>.

وقد سجل في رحلته كل ما رآه في ذهابه وإيابه، وكان قد مرّ بكثير من المدائن في المغرب الأقصى، والمغرب الأوسط والمغرب الأدنى، ومصر والحجاز، وبعد أداء فريضة الحج عرّج على فلسطين وزار بعض مدنها، وأقام فيها بعض الوقت «كما أقام في القاهرة والإسكندرية ثم قفل راجعا إلى بلده عن طريق الجزائر وتلمسان وفاس، حتى بلغ أزمور التي تقع على شاطئ المحيط الأطلسي حيث لحقت به أسرته»<sup>2</sup>. وبهذا يصور حال البلاد الإسلامية السياسية التي مرّ بها أصدق تصوير. كما أصاب في التحقيقات الجغرافية الدقيقة إضافة إلى وصفه المتقن للمدن فهو في هذه الناحية يضاهي أغلب الجغرافيين الذين اعتمدوا في مؤلفاتهم على النقل في حين أنه اعتمد على مشاهداته، فوصفه للمناظر والمراحل التي مرّ عليها كان وصفاً جميلاً محكماً عاكفاً على تصحيح أخطاء شائعة وردت في مؤلفات سابقة بشيء من التوسّع، مع بيان الصحيح منها مبدئياً رأيه بالاعتماد على المنطق المرتكز على الحجج العقلية والبراهين التاريخية<sup>3</sup>.

من نقداته اللاذعة أيضاً قوله في مدينة قابس: «... ثم وصلنا إلى مدينة قابس ذات المخبر الخبيث، والمحيا العابس، هواء وخيم، ولؤم وطبع وخيم، وتضييع المصليات والمساجد وقلة اعتناء بكل راع وساجد»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - عواطف محمد يوسف النواب، مرجع سابق، ص ص 118-119.

<sup>2</sup> - محمد العبدري البلنسي، مرجع سابق، ص 8.

<sup>3</sup> - عواطف محمد يوسف النواب، مرجع سابق، ص 119.

<sup>4</sup> - محمد العبدري البلنسي، مرجع سابق، ص 11.

لقد حفلت الرحلة بالكثير من الأبيات الشعرية سواء لأدباء وعلماء لقيهم أو ما كان يخصه، فالعبدري اهتم بعلم التاريخ وخاصة تراجم العلماء وكان صائبا في الحكم على بعض علماء عصره إصابة أثبت التاريخ صحتها في مدحه لهم وإعلاء شأنهم: مثل ابن خميس شاعر تلمسان، والدباغ القيرواني صاحب كتاب "معالم الإيمان وروضات الرضوان في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان" وابن دقيق العيد.

من جملة مميزات الرحلة أيضا اهتمامه بالتدقيق في الآثار القديمة والتصوير الدقيق للحالة الاجتماعية والدينية التي كانت عليها البلاد الإسلامية، في ذلك الوقت، " فهو يدرك بالنظرة الواحدة ما لا يدركه غيره بالتأمل الطويل"<sup>1</sup>.

كان مذهب العبدري أن الناس هم يعلمون الشاعر الهجاء بسوء أخلاقهم، لذلك تصدى له أحمد أمين بن قاسم البوني بكتابة الموسوم "التعريف ببونة افريقية بلد أبي مروان الشريف" وكان الكتاب بمثابة رد على ما أورده الرحالة العبدري عن بونة في كتابه المذكور واتهمه بأنه: أخلّ بالتعريف ببلد العبد الضعيف، بل ذكر لها نقيصة عظيمة، فعقب أحمد البوني في التعريف ببونة افريقية ... على مقالة العبدري معتمدا على مؤرخ بوني عاش في القرن التاسع الهجري، وهو أبو الحسن علي فضلون الذي صنف كتابا في تاريخ المدينة بعنوان "الكل والحلل"<sup>2</sup>.

أما عن أسلوبه المتبع في رحلته فهو الصدق والدقة والمناقشة المعتمدة على الحجة والمنطق والهجاء اللاذع<sup>3</sup>، ويبدو أنه كان متشائما وبراغي مقاييس لا يقره عليها جل الباحثين، إذ وصف في رحلته كثيرا من العواصم لا تتفق مع واقعها، إلا أنه لا ينبغي أن نغفل على دقة ملاحظاته فهو لا يغتر بالمظاهر، وقد اختص بميزة في رحلته لم يشاركه فيها أحد من الرحالين هي: الجرأة في التعبير عن رأيه وشعوره، والنقد اللاذع، فقد وصف مصر

<sup>1</sup> - عواطف محمد يوسف النواب، مرجع سابق، ص 120.

<sup>2</sup> - محمد العبدري البلنسي، مرجع سابق، ص ص 10-11.

<sup>3</sup> - عواطف محمد يوسف النواب، مرجع سابق، ص 120.

لقد وصف أهل مصر في أخلاقهم وعاداتهم وصفا دقيقا، وأصلاهم نارا حامية من نقداته، كما أصلى العنانبة حين وصفهم بالجبن، فقد غلبهم من الكفار عشرون، ويبدو أن عدم ترحاب اليونيين به أثر في نفسه حتى قال فيهم هذا الكلام: « وقد أزعج السفر من حلولها فلم أقض وطرا من دخولها»<sup>1</sup>.

جاء أسلوبه مرسلا بعيدا عن قيود الصنعة وبذلك نرى صاحب الرحلة لم يلتزم أسلوبا واحدا في رحلته بل زواج بين أسلوبي الصنعة والطبع.

1 طغى على أسلوب العبدري في رحلته الصنعة والتكلف فقد فشا فيها السجع والجناس وما إلى ذلك من المحسنات البديعية التي يكدُ فيها المؤلف ذهنه، ويعمل فكره، ويقسو على نفسه ليلائم بينها، ويزوِّق ألفاظه وجمله بها.

2 أما في أسلوبه فنجد العبدري يترك نفسه على سجيبتها، وعباراته من دون قيد السجع ومحسنات البديع، فتجيء واضحة سهلة، جلية المعاني، بعيدة عن الغموض خالية من زخارف الألفاظ والتصنع. لقد امتلك العبدري ثقافة واسعة في علوم اللغة وفنون البلاغة جعلته يوشي أسلوبه بضروب البديع والبيان، ويمتلك قدرة على تحسين ألفاظه وجمله (...). وهذا ما ذهب إليه كراتشوفسكي حيث قال: « فعلى الرغم من أن أسلوبه لا يخلو من التكلف إلا أنه يكتب في نفس الوقت بحرية ويسر بحيث لا يصل إلى درجة المبالغة المموجة التي نلتقي بها لدى ممثلي الأجيال التالية»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - محمد العبدري البلنسي، مرجع سابق، ص 10.

<sup>2</sup> - علي إبراهيم كردي، مرجع سابق، ص ص 94-102.

## المبحث الثاني: رحلة العبدري الشعرية:

من المعلوم أن رحلة العبدري كان الغرض منها زيارة البقاع المقدسة وأداء مناسك الحج حيث كان يقف وقفة طويلة على المدن التي يبلغها، وقد حاول التعرف على خصوصياتها وعاداتها والاطلاع على علومها ومعارفها والالتقاء بأبرز علماءها وأعلامها.

لقد عاين الرحالة أثناء رحلته ما شاهده من عجائب في البلدان التي زارها واطلع على معالمها، وما صادفه من تنوع جغرافي وآخر ثقافي واجتماعي، حيث تعرف على ثقافات الأمم وحضاراتها العريقة لتتسم رحلته بنوع من المصادقية مضمنا ما شاهده أسلوبا عذبا راقيا فجاءت رحلته فيضا من المساجلات والمناقشات مع كبار العلماء وسرد لأخبار كل منطقة.

كانت نقطة انطلاقه من منطقة حاحة وهو اسم قديم ضارب في القدم، تمتد هذه الأخيرة إلى منطقة السوس من جهة الغرب، تربط شمال المغرب وجنوبه، وقد لمعت فيها أسماء كثيرة في مجال السياسة الدين والأدب أمثال القائد الحاج عبد الله الحاحي... إلخ.

ولقد غلب على سكان منطقة حاحة صفة التمسك بالتقاليد الموروثة عن الأجداد وحرصهم على الدين الإسلامي الحنيف، يقول في هذا الصدد في الأبيات ( من 11 إلى 14):

مَرَرْتُ بِحَاحَةَ فَسَأَلْتُ عَمَّنْ      أناخ \* بأقصى الغرب القصي

فَقَالَتْ: خَلْفُونِي ذَاتَ شَجْوٍ      أبكيّ بالغداة وبالعشيّ

أناخ بهم زمانٌ ليس يرثي      لغيلان، ولا يُعنى بميِّ

وقد أهدى الكسوف\* إلى أناس      تراهم كالبدور لدى النديّ\*

هذه الأبيات نجدها في (الصفحة 567) من رحلته الشعرية وفي مقابل ذلك نجده يتطرق إليها كما أسلفنا الذكر في (الصفحة 43) من موضوعات الرحلة بذكره لأهم أعلامها والنقائه بهم وإتمام سفره إلى مسجد الصلاة بالمنطقة.

\* - أناخ بالمكان: أقام.

\* - كسف القمر: ذهب ضوءه وأسود.

\* - الندي: المنتدى، يريد أن هؤلاء الناس الذين كانوا كالنجوم دفنوا تحت التراب.

وعن عادات مدينة حاحة يقول الحسن الوزان فيها: « ليس من عاداتهم أكل الخبز أو أية وجبة مجهزة إذ يتغذون بحليب نوقهم، ومن عاداتهم أن يشربوا صفحة من الحليب الحاز من السمن، وعندما ينضج اللحم يتناول كل واحد نصيبه باليد وبعد أن يأكل قطعه يشرب المرق مستخدماً يده كملعقة وتنتهي الوجبة »<sup>1</sup>.

أما لرجال إقليم حاحة نساء قانتات حافظات لأنفسهن مما زاد من غيرة رجالهن عليهن فهن: «بارعات في الجمال بيض متوسطات البدانة، في غاية الظرف واللفظ لكن الرجال ذو عنف وغيره، يقتلون كل من أفرط في الاقتراب من نسائهم»<sup>2</sup>.

أما عن لباس سكان حاحة فهم يرتدون لباساً مؤلفاً من قطعة قماش صوفية تدعى "الكسا" يلفون به أجسادهم بشكل وثيق (...). ويضعون فوق رؤوسهم قطعة من القماش من نفس الصوف، طولها حوالي عشرة أشبار، وعرضها اثنان، وفيما يتعلق بالأدوات المنزلية تستعمل قصعات من خشب محفور بالسكين، غير أن القدور والصحف تكون مصنوعة من الفخار، كما أنه ليس من عادات العزّاب ترك لحاهم ولا يتركونها تنمو إلا بعد زواجهم. كما ذكر الحسن الوزان أن هذا البلد لا يعرف أي نوع من أنواع التعليم، فلا نكاد نجد إنساناً واحداً يعرف القراءة<sup>3</sup>.

واصل مشواره حتى وصل إلى السوس وهي منطقة جغرافية تقع جنوب المغرب تشتهر بالفلاحة وتنتشر فيها أسواق الخضر والفواكه وقد تحدث عنها في رحلته الشعرية في (الصفحة 567) وذلك في قوله:

وجئت السوس أسأل وهو أقصى  
فقال: إليك عن كمد\* شجيّ

<sup>1</sup> - وهيبة جرفي، مرجع سابق، ص 124.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص ص 120-121.

<sup>3</sup> - ابن الوزان الزياتي، وصف إفريقيا، تر: عبد الرحمن حميدة، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005، ص ص 108-109.

\* - الكمد: الحزين.

ألم ترني وحيدا من أناسي      كما عطلت كعاب\* من حليّ  
وظفت بلادها أرضا فأرضا      تخبرني بموتهم الوحي\*

نلاحظ أن العبدري في هذه الأبيات من ( 15 إلى 17 ) يبدو حزينا لأنه وجد المنطقة خالية من العلماء حيث طاف بها أرضا فأرضا دون جدوى.

وهاهو العبدري يحط رحاله بمدينة تلمسان يصفها بكل أبعادها سواء تعلق الأمر بجغرافيتها لما تحمله من سحر وجمال ورونق فياض، ما فتح المجال للمؤرخين لوصفها والإطراء عليها وفيها قال العبدري ( البيت 18):

ووافينا تلمسانا فأبدت      على أهل مضوا شجوا النعيّ

جاء هذا الوصف أيضا في موضوعات الرحلة ( الصفحة 44 ) من وصف المناظر الخلابة والمياه العذبة الجارية وكثرة بساطينها وجمال مساجدها وقصورها دون أن ننسى ذكر حماماتها كحمام "العالية" المشهور، حيث قال فيها أبو زكرياء يحيى بن خلدون واصفا: «مدينة عريقة في التمدن، لذيذة الهواء، عذبة الماء، كريمة المنبت (...) فهي التي سحرت الألباب رياء وأصابت النهى ووجد فيها المادحون المقال».

يويد العبدري في هذا الرأي الناظم أبي عبد الله محمد بن يوسف الثغري حيث يقول:

تاهت تلمسان بدولته على      كل البلاد بحسن منظرها الجلي  
راقت محاسنها ورقّ نسيمها      فحلا بها بها شعري وطاب تغزلي  
عرج بمنعرجات باب جيدها      وافتح باب الرجاء المقفل  
وتمش في جنباتها ورياضها      واجنح إلى ذاك الجناح المخضل<sup>1</sup>

\* - الكعاب: التي نهد ثديها.

\*-الوحي: السريع العاجل.

<sup>1</sup> - ديوان الثغري التلمساني ( أبو عبد الله محمد بن يوسف القبيسي الأندلسي)، جمع وتحقيق وشرح نوار بوحلاسة منشورات مخبر الدراسات التراثية، جامعة منتوري قسنطينة، 2004، ص ص 113-114.

يوافقهما ابن خلدون في الوصف يقول: «توسطت قطرا ذا كور عديدة، مريح الجنبات منجبة الحيوان والنبات، كريمة الفلاحة، زاكية الاصابة ... لها خمسة أبواب، قبلة باب الجياد وشرقا باب العقبة وشمالا باب الحلوي وباب القرمدين وغربا باب كشوط، وهي مؤلفة من مدينتين ضمهما الآن سور واحد»<sup>1</sup>.

يقول ابن الفكون في تلمسان:

وأبدت لي تلمسان بدورا جليبن الشوق للقلب الخلي<sup>2</sup>

الملاحظ أنه في هذا البيت يظهر شوقه وحنينه إلى تلمسان حيث وصفها بالبدر كما هو معروف تسميتها باللؤلؤة.

أما الحسن الوزان فيصفها على أن معظمها «أقاليم جافة قاحلة، لا سيما في جزءها الجنوبي، لكن السهول القريبة من الساحل منتجة جدا نظرا لخصبها، والجهة المجاورة لتلمسان كلها سهل مع بعض المفازل، حقا إنه توجد غربا عدة جبال قرب الشاطيء» والملاحظ أن تلمسان سياسيا لم يتغير بها أمر بل ظلت على اضطرابها رغم مرور زمن طويل. أما في مجال التعليم في زمن الوزان، فصار الازدهار والاهتمام بالعلم أكثر من أي زمن آخر حيث صار «بها قضاة ومحامون وعدد كبير من الطلبة والأساتذة في مختلف المواد سواء في الشريعة أو العلوم الطبيعية، وتتكفل المدارس الخمس بمعاشهم بكيفيات منتظمة». إضافة إلى ذلك «توجد بتلمسان مساجد عديدة جميلة، لها أئمة وخطباء».

إضافة إلى ذلك «توجد بتلمسان مساجد عديدة جميلة، لها أئمة وخطباء».

من خلال ما سبق ذكره نستنتج أن الحسن الوزان يوافق العبدري فيما ذهب إليه في وصفه لمدينة تلمسان من الجانب الجغرافي في وصف البيئة مظهرها ثم انتقل إلى الجانب

<sup>1</sup>-زيان عرب الشعبة، النص الشعري في شعر الثغري التلمساني (دراسة موضوعاتية فنية)، (مذكرة ماستر)، المركز

الجامعي ميله، قسم اللغة العربية، ميله، الجزائر، الأستاذ عبد الحفيظ بورايو، 2015، ص 82.

<sup>2</sup>- عبد الحفيظ بورايو، مرجع سابق، ص 99.

التعليمي الثقافي المتمثل في ذكر المساجد والمدارس ومراكز التعليم وأخيرا الجانب الروحي الديني بذكره للمزارات والأضرحة قبور الصالحين.

ثم مر بمدينة مليانة التي تقع في ولاية عين الدفلى حاليا وقد ورد قوله في (البيت 19) في (الصفحة 568):

كذا مليانة أبدت عوبلاً\* لأهل ضمهم الأتي\*

أسلفنا ذكرها من قبل في الموضوعات في (الصفحة 45) الذي يصف فيها الأبنية والعمران وحدائقها التي استشرقت بنسيم عليل دون أن ينسى ذكر جامعها المليح العجيب يقول فيها ابن الفكون:

وفي مليانة قد ذبت شوقا بلين العطف والقلب القسي<sup>1</sup>

كذلك نلمس تشوق الشاعر إليها راغبا في زيارتها والإطلاع على معالمها وأسرارها ويصفها الوزان بأنها مدينة تحيط بها أسوار عالية وبيوتها متقنة وفي داخلها فسيفساء جميلة يكاد السكان جميعا يكونون من الصناع ومن الحاكة ومن الخراطيين، ومن عاداتهم السائدة أنهم يصنعون أواني جميلة من الخشب<sup>2</sup>.

لقد واصل العبدري رحلته إلى أن وصل إلى الجزائر البلد العريق كثير السكان والعمران واصفا إياها بالحسن والبهاء لما تحمله من مناظر خلابة مما فتح مجالا للسياح الذين يتوافدون عليها من مختلف الأقطار خصوصا الأجانب. يقول في (البيت 20) من قصيدته:

ورُحِت إلى الجزائر ذا سؤالٍ فقيل: سألت عن هنيّ بن بيّ\*

دع السؤال عن حلّ تزبّا وبادر منهج البرّ التقيّ

\*- العويل: رفع الصوت بالبكاء والصياح.

\*- الأتي: السيل يأتي من بعيد.

<sup>1</sup>- عبد الحفيظ بورايو، مرجع سابق، ص 99.

<sup>2</sup>- ابن الوزان الزياتي، مرجع سابق، ص 406.

\*- هنيّ بن بيّ، وهيّان بن بيّان: لا يعرف أبوه، وقيل: هي بن بيّ كان من ولد آدم فانقرض نسله.

يقول ابن الفكون:

وفي أرض الجزائر هام قلبي بمعسول المراشف كوثر<sup>1</sup>

اهتم "مورتييس فاغنر" بوصف الجزائر وصفا دقيقا مبرزاً اهتمامه بما انطبع في نفسه من مشاهد لها مدلولاتها النفسية، فيصف لنا جانبا من جوانب الحياة الاجتماعية في أدق تفاصيلها وجزئياتها فينقل لنا مشاهد عن مقاهي المدينة. وكذا مورقان جوزيف يصف الجزائر في بداية العهد العثماني فيقول: «... وشكل مدينة الجزائر اليوم ( زمن الرحالة) هو بالتقريب شكلها في بداية القرن السادس عشر، فأسوارها ظلت كما كانت ولكن أضيفت إليها تحصينات جديدة (... ) وكان ملوك تلمسان هم الذين بنوا قسبة الجزائر»<sup>2</sup>.

كذلك الفنان "نيكولاس" يصف هو الآخر مدينة الجزائر حوالي منتصف القرن العاشر بأنها أهلة جدا بالسكان حتى بلغ عددهم ثلاثة آلاف موقداً حوالي (11 ألف نسمة) وفيهم الحضر والترك واليهود وغيرهم ومعظم الترك هناك مسيحيون اعتنقوا الإسلام وأغلبهم اسبان أو طليان في الأصل، وهم سكان شرسوا الطباع<sup>3</sup>.

يذكر الدكتور "شو show" الرحالة والراهب الانجليزي الذي عاش بالجزائر ما يزيد عن العشر سنوات تجوّلاً خلالها في ربوع الجزائر وتعرض لوصف الكثير من المدن وأخلاق سكانها وعاداتهم وأساليب معيشتهم، يصف حمام ريغة الواقع غربي مدينة الجزائر يقول: «إن أجمل الأحواض حمام ريغة الذي يقدر ضلعه باثني عشر قدما وعمقه أربعة (... ) في الربيع الذي هو فصل المياه يأتي إلى الحمام عدد كبير من الناس ويقال إن تلك المياه تعالج النقرس واليرقان وغير ذلك من الأمراض المزمنة والمتأصلة».

1- عبد الحفيظ بورايو، مرجع سابق، ص 99.

2- المرجع نفسه، ص ص64-65.

3- المرجع نفسه، ص 65.

نجد الرحالة "تيدنا" يقف موقفين متناقضين الأول مؤيد للعبدري في وصفه للجزائر يقول: « على كل حال ليس هناك أجمل من هذه المدينة وأفتن من الأرياف والتلال الخصبة التابعة لها والتي تملأ النظر بهجة » أما الموقف المعارض نلمحه في قوله: «لكن الخسارة في أن داخلها لا ينطبق على هذه الشمائل كلها، فليس هناك شوارع جميلة فهي كلها ضيقة ومتسخة ومنخفضة وبسيطة البناء، وحتى قصر الباي ليس فيه شيء جميل النظر، لأن كل طفنا فيه ناقص الجمال...»<sup>1</sup>.

تجدر الإشارة إلى أن الرحالة الحسن الوزان قد انبهر بجمال مدينة الجزائر حيث يقول فيها واصفا: « مدينة كبيرة جدا تضم نحو أربعة آلاف كانون، أسوارها رائعة ومتينة جدا مبنية بالحجر الضخم، فيها دور جميلة وأسواق منسقة كما يجب (...). وفيها كذلك عدد كبير من الفنادق والحمامات ويشاهد من جملة بناءاتها جامع ممتاز في غاية الكبر على شاطئ البحر»<sup>2</sup>.

كذلك يصف البكري الجزائر وصفا يظهر أنها مدينة عريقة في القدم، آثارها كثيرة حتى يُظن أنها كانت عاصمة للبلاد في وقت من الأوقات. يقول: « جزائر بني مزغنة هي مدينة جلييلة قديمة البنيان فيها آثار للأول وأزاج محكمة تدل على أنها كانت دار مملكة لسالف الأمم (...). ولها أسواق ومسجد جامع»<sup>3</sup>.

في حديثه عن مدينة بجاية قال في (البيت 22) الوارد في (الصفحة 568) من رحلته:

وقالت لي بجاية: أنت خلو      فيا ويح الشجي من الخلي  
تُسائل عن أمور ظاهراتٍ      عقرت لها ظُهورا للمطي

<sup>1</sup> - عبد الحفيظ بورايو، مرجع سابق، ص ص 66-67.

<sup>2</sup> - وهيبه جرفي، مرجع سابق، ص 112.

<sup>3</sup> - عبد الحفيظ بورايو، مرجع سابق، ص 42.

حيث تطرقنا إليها في ( الصفحة 46) من موضوعات الرحلة، نجده يمدحها ويظهر إعجابه بها تارة، ويذمها ويؤيدي سخطه عليها تارة أخرى، كما اهتم بذكر العلوم الشائعة آنذاك واصفا المساجد وذاكرا علماءها وأبرز أعلامها. يقول ابن الفكون:

فجئت بجاية فجلت بدورا      يضيق بوصفها حرف الروي<sup>1</sup>

يقول الحسن الوزان عن التحضر في بجاية: « مدينة عتيقة بناها الرومان - على ما يراه بعضهم - في منحدر رحيل شاهق على ساحل البحر المتوسط، تحيط بها أسوار عالية متينة وتناهر كوانينها ثمانية آلاف (...). ودورها كلها جميلة، وفيها جوامع كافية، ومدارس يكثر فيها الطلبة وأساتذة الفقه والعلوم، بالإضافة إلى زوايا المتصوفة وحمامات وفنادق ومارستانات، وكلها صروح مشيدة حسنة البناء»<sup>2</sup>.

« وأهل بجاية رجال لطيفوا المعشر ميالون إلى المدح والى الموسيقى والرقص، ولاسيما الامراء. ثم انتقل في حديثه الى وصف مناظر المدينة (...). البساتين المليئة بالأشجار المثمرة، وتكثر هذه الحقائق من جهة الباب الذي يشرف على الشرق»<sup>3</sup>.

استمرت رحلته بوصوله إلى بني ورار قائلا في ( البيت 24) من رحلته الشعرية في (الصفحة 568):

وجئت بني ورار وهي عمري      أثارت كامن الشجن الخفي

أوردنا ذكرها في موضوعات الرحلة (الصفحة 48) بأنها تشفي العليل وبها عين تسقي البلد، ثم توجه مباشرة إلى ميلة حيث قال في ( البيت 25) من نفس الصفحة:

وميلة لم تمل عن نهج نصح      أصخ إن كنت ذا فهم سني

يقول ابن الفكون فيها:

فلما جئت ميلة خير دار      أمالنتي بكل رشا أبي

<sup>1</sup> - عبد الحفيظ بورايو، مرجع سابق، ص 99.

<sup>2</sup> - وهيبة جرفي، مرجع سابق، ص 118.

<sup>3</sup> - ابن الوزان الزياتي، مرجع سابق، ص ص 422-423.

ساهم البكري بدوره في إعطاء معلومات قيمة ومفصلة عن تاريخ ميلة العريق حيث أفادنا بجملة من المعارف عنها يقول فيها: « ثم عمرت بعد ذلك، وعليها سور صخر اليوم وحولها رياض، وبها جامع وأسوار وحمامات والمياه تترد حولها، ليسكنها العرب والجنود والمولدين، وهي من غرر مدن الزاب، ولمدينة ميلة باب شرقي يعرف بباب الروس، وعلى مقربة منه جامعها، وهو ملاصق لدار الإمارة، وباب جنوبي يعرف بباب السفلي، ويليه داخل المدينة عين تعرف بعين أبي السباع مجلوبة تحت الأرض من جبل بني هارون يشفى منها»<sup>1</sup> من خلال هذا النص نستنتج أن البكري ذكر أوصاف جلية لمدينة ميلة بداية بذكر أبوابها ثم حماماتها ومنابعها وأخيرا جامعها الذي يُعد معلما دينيا مهما في المدينة.

لقد نالت ميلة نصيبا من وصف الرحالة الإدريسي، حيث قال عنها: « مدينة ميلة وهي أربع مراحل منها، ومدينة ميلة حسنة كثيرة الأشجار، ممكنة الثمار و فواكهها كثيرة ومحاسنها ظاهرة ومياهها غدقة، وأهلها من أخلاط البرابر جملة والعرب تحكم بخارجها وكانت في طاعة يحي بن العزيز صاحب بجاية» فقد أثار دهشة الإدريسي أثناء زيارته لما حبتها فيه الطبيعة من أشجار باسقة وفواكه يانعة، ومياه عذبة ومناظر خلابة<sup>2</sup>.

تحتوي مدينة ميلة على عدد كبير من الصناعات، ولاسيما الذين يعملون في نسج الصوف الذي تصنع منه أغذية السرائر، ويوجد في ساحتها عين بديعة، يستخدم ماؤها في حاجات سكان المدينة، وهؤلاء السكان أناس بواسل ولكن مع فهم سقيم<sup>3</sup>، ومن خلال هذا التعقيب يمكن استنتاج أن الوزان قد ذم أهل ميلة ووصفهم بأصحاب الفهم السقيم.

ثم وصل إلى عاصمة الثقافة الإسلامية قسنطينة يقول في (البيت 26) من قصيدته:

ومن شاء الحديث فقل قسنطي نة تروي حديثَ المغربيِّ

<sup>1</sup> - بدرون صليحة وبوقاعدة نعيمة، مرجع سابق، ص ص 58-59.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص ص 61-62.

<sup>3</sup> - ابن الوزان الزياتي، مرجع سابق، ص ص 431-432.

سبق ذكرها في موضوعات الرحلة الواردة في (الصفحة 48) حيث وصفها بالمدينة العجيبة ذات الأراضي الزراعية، تشفى الجراح وتدخل الأفراح، لها من الأبنية القديمة حفا وافرًا، فجد الحسن الوزان يؤيد العبدري في وصفه لكنه زاد عليه في الوصف قائلاً: «أسوارها عتيقة عالية سميكة مبنية بالحجر المنحوت المسود... يمر عند قدميها نهرا اسمه سوفغمار... وللمدينة أسوار في غاية القوة بالإضافة أنها تقع في أعلى قمة الجبل... وأبواب المدينة جميلة كبيرة مصفحة تصفيحاً بالحديد... وهي متحضرة جداً ومليئة بالدور الجميلة والبنائات المحترمة»<sup>1</sup>. ويلاحظ أن الوزان معجب ومنبهر بهذه المدينة التي وصفها وصفا مفصلاً انطلاقاً من أسوارها وأنها إلى غاية وصوله إلى ذكر جبلها وأبوابها وأهم المرافق الموجودة بها.

اتخذت هذه المدينة عاصمة الشرق الجزائري، وهذا لأمرين: الأول: أن موقعها الاستراتيجي الجغرافي الأخاذ جعلها قبلة للأعين التي لم تجد في تصميمها الرياني إبداع خاص لا يوجد في مكان غيرها، والأمر الثاني: أن موقعها الجغرافي أهلها لتكون حصناً عسكرياً طبيعياً فاستفاد منه سكانها ومغتصبيها على طول الأزمنة الغابرة<sup>2</sup>.

تباينت الآراء حول أصل تسمية مدينة قسنطينة بهذا الاسم وأقرب هذه الآراء من الحقيقة الرأي القائل بأن اسم قسنطينة مركب إضافي من كلمة "قصر" و"طينة"، فعلى أيام العلامة ابن القنفذ القسنطيني (أحمد بن الخطيب) كانت تسمى "حصن طينة" يقول:

يُعرف بابن قنفذ اشتهاره من حصن طينة تلك داره

وله كذلك قصيدة في الشعر الملحون يقول:

وبن أهل (قصر طينة) وبين بن سليمان وبدر الدين<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - وهيبة جرفي، مرجع سابق، ص ص 109-110.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 110.

<sup>3</sup> - عبد الحفيظ بورايو، مرجع سابق، ص ص 73-74.

كما حظيت قسنطينة باهتمام بالغ من طرف الرحالين، فوجد الإدريسي يصفها وصفا دقيقا مفصلا، يذكر « ومدينة قسنطينة على قطعة من جبل منقطع مربع فيه بعض الأشخاص لا يتوصل إليها من كان، إلا من جهة باب في غربها ليس بكثير السعة، وهناك مقابر أهلها حيث يدفنون موتاهم (...) وبناءها من التراب وأرضها كلها حجر صلدًا». كما لفت انتباه الإدريسي " وادي الرمال" الذي يحيط بالمدينة بكل الجهات كإحاطة العقد بجيد الحساء يقول: « وهذه المدينة - أعني قسنطينة- يحيط بها الوادي من جميع جهاتها كالعقد مستديرا بها»<sup>1</sup>.

يقول في معرض حديثه:

وسار وسارت خلفه وأمامه  
ومن تونس وقت قسنطينة الهوى  
نجائب تخطو تحتهن النَّجائبُ  
ليسع ليالٍ خيلُهُ والرَّكائبُ  
قال آخر:

إن رمت طيب هواء أرض لم يحل  
أكرم بها بلدة للحسن قد جمعت  
فعن قسنطينة الحساء لا تمل  
فشمس حسنها في الآفاق لم تأفل<sup>2</sup>

كما نقف على أبيات ابراهيم بن الحاج النميري في وصفها يقول:

وما تبعت قسنطينة الهوى  
ولكن لتحضى باقتراب خليفة  
هواها ولا كان التمتع عن عمد  
يدين بتقوى الله في الحل والعقد

هذه المشاهد التي نقلها لنا النميري أكدها مؤرخ قسنطينة الحاج أحمد بن المبارك في كتابه " تاريخ قسنطينة" ففي ذكره من غزا قسنطينة يقول: « وأما من غزاها ووصل خبره إلينا فقد غزاها أبو عيان المريني من بونة، وحاصرها بجنود كثيرة، وقوة عظيمة وقطع عنها النهر وجعل الماء يمشي إلى ناحية أخرى، وحلف لا يرحل حتى لا يدخلها ويجعل عاليها أسفلها»

<sup>1</sup> - عبد الحفيظ بورايو، مرجع سابق، ص 83.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 85.

لما اشتد العطش على أهل قسنطينة دعا الله أن يرسل مطرا عظيما فشق سد النهر على عادة مجراه<sup>1</sup>.

سكان قسنطينة ميالون بطبعهم إلى الزهد، حيث يذكرنا الحسن الوزان ببذاءة لسان العبدري وسلطته وأحكامه القاسية اتجاه قسنطينة، وأهلها حين قال أن حالتها متردية وفيها من تقهقر العلم وقلة العلماء الشيء الكثير، وذكر أنه لم ير بها عالما ولا فنا من الفنون إلا الشيخ أبا الحسن بن بلقاسم بن باديس، هنا نجد أن الوزان يعارضه حين قال: « وهم متعجرفون وذو تفكير سقيم» بالرد عليه قائلا: « وهي متحضرة جدا، ومليئة بالدور الجميلة والبناءات المحترمة كالجامع الكبير والمدرستين والزوايا الثلاث والأربع» كما أن الجامع الكبير الموجود ببطحاء السويقة بشارع العربي بن مهدي على الطريق المتوجه إلى القنطرة القديمة وهو أقدم المساجد بالمدينة، وله ميدان التربية والتعليم دور ممتاز<sup>2</sup>.

يصل العبدري إلى بونة فيقول في ( البيت 27) من رحلته:

وبونة قد أبانت من أبانت صروف الدهر\* من سام سري\*

لم يقتصر ذكره لبونة في الرحلة الشعرية بل تعدى إلى ذكرها في رحلته النثرية التي تطرقنا إليها سالفا في (الصفحة 49) من موضوعات الرحلة حيث وصفها بالبلدة المغبونة كثيرة المصائب والنوائب، كما ذكر البحر وضيق نفسه فيه، يقول:

« فلم أقض وطرا من دخولها» مع علمه بأن هذا لوصف لم يرق أهلها إلا أنه ذكره.

من الرحالين العرب الذين زاروا مدينة عنابة نجد "مورتيس فاغندر" الألماني الذي وصفها بأنها مدينة تميزت بمناظر طبيعية خلابة تجلت في الجبال العالية والصخور الجرداء والتلال المخضرة والسهول الشاسعة والوديان الواسعة، وهي مناظر تترك في النفس أثرا عميقا، وفي

<sup>1</sup> - عبد الحفيظ بورايو، مرجع سابق ص 107.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 113.

\* - صروف الدهر: نوائبه وحدثانه.

\* - السري: السيد الشريف ذو المروءة.

المقابل يبدي تشاؤمه منها لعدم نظافتها واتساقها، وان العيب الوحيد فيها يتمثل في أن جدرانها تتهار في مواسم الأمطار، كما تحدث عن مناخها غير الصحي وبأنها لا تقدم شيئاً<sup>1</sup>.

يقول الحسن الوزان عن رجال مدينة بونة: « ظرفاء بعضهم تجار وبعضهم صنّاع وحاكة يبيعون كمية وافرة من قماش الكتان في نوميديا، إلا أن أهل عنابة متكبرون شرسون إلى حد أنهم لا يرضون فحسب بقتل حاكمهم، بل يهددون بتسليم المدينة إلى النصارى (...). ويعتقدون لأنهم من الأولياء الصالحين ويحيطونهم بكل اعتبار وتقدير»<sup>2</sup>.

بعد خروجه من بونة توجه إلى خولان يقول في معرض حديثه عنها انها تقريبا خالية من السكان ولم يتعرض له ببيان، كما ان العلم بها منعدم، فلم يثر إعجابه سوى فناءها الرحب الواسع، وقد تحدث عنها في (البيت 28) الوارد في (الصفحة 568) من الرحلة الشعرية يقول:

وفي خولان أطرقت اعتبارا « جرى الوادي فطمّ على القرّي»

ثم مرّ بمدينة باجة يقول في (البيت 29) الوارد في نفس الصفحة :

وباجة بالبوائح قد أباحت وأمحل روضها من بعد ريّ

حيث وصفها بأنها مدينة اهلكها الدهر وفتكت بها الخطوب حتى اصبحت كالبادية، كما ذكر أحد علمائها الأديب المشهور أبي علي حسين بن محمد الطبلي، مدحه بأوصاف كثيرة كحسن خلقه وجمال صورته ونبله.

<sup>1</sup> - عبد الحفيظ بورايو، مرجع سابق ص ص 63-64.

<sup>2</sup> - وهيبة جرفي، مرجع سابق، ص ص 122-123.

زد على هذا فقد ذكر الوزان أن سكان باجة منظمون ويحرصون على أن تظل مدينتهم على حالة جيدة، وفيها جميع أنواع الحرف ولاسيما الحياكة، ويرى فيها عدد كبير من المزارعين لأن ريف باجة متسع جدا وغزير الإنتاج<sup>1</sup>.

ثم حطّ رحاله بتونس التي كان له فيها كلام كثير، يقول في الأبيات (30-31-32) :

ولما جئت تونس وهي خوّدٌ                      زهت بجمالها وبحسنِ زيّ  
سألت عن الألى هاموا إليها                      فكم برّ بها منهم حفيّ  
فقال: ما أرى منهم أنيساً                      وشرُّ الوصل وصل الأدمي

لقد وصفها كما ذكرنا في موضوعات الرحلة (الصفحة 50) بالفخامة والأصالة، وينتقل إلى الحديث عن مساجدها العريقة أشهرها جامع الزيتونة، كما يصف بساتينها وحدائقها وفي هذا الصدد يقول الوزان: « جامع كبير في غاية الجمال والسعة، كثير المستخدمين، عظيم الموارد، وجوامع أخرى في المدينة، وفي الأرياض أقل أهمية من الجامع الكبير ». وعن العلم والدين قال: « وفيها عدة مدارس للطلبة، وبعض الزوايا لموردين المتسكين، وتكفي أوقاف هذه المؤسسات الدينية للإنفاق عليها لتستمر في القيام بوظائفها بكيفية لائقة»<sup>2</sup>.

لقد أشاد العبدري بعلماء تونس ودورهم في نشر العلوم والمعارف المختلفة يقول: « وما من فن من فنون العلم إلا وجدت بتونس»، حيث صادف أحد شيوخها البلغاء أبا الحسن بن ابراهيم التجاني الذي له بيت عريق من العلم والأدب.

أما الحسن الوزان فقد تحدث عن أخلاق التونسيين حيث وصفهم بالطيبة والتواضع يقول: « وأهل تونس على قدر كبير من الطيبوبة واللياقة»، وعن طبيعة لباسهم يقول: « يرتدي

<sup>1</sup>- ابن الوزان الزيتاني، مرجع سابق، ص 438.

<sup>2</sup>- وهيبه جرفي، مرجع سابق، ص 118.

الصناع والتجار والفقهاء وجميع من يتقلد وظائف لباساً ممتازاً، ويضعون على رؤسهم عمامة «قلنسوة» مكسوة بقماش طويل، وكذلك العسكريون وأصحاب الحاشية إلا أنهم لا يضعون قماشاً على القلنسوة»<sup>1</sup>.

من تونس ارتحل إلى القيروان التي محتها يد الزمان فلم يجد لها أثراً، كما وجد أناسها غليظوا الطباع، ليسوا متحضرين، والشيء الأهم هو أنه لا يوجد بها علم، حيث تكدست المعارف واضمحت، كما يصف المدينة ويعيب على انعدام البر والبحر فيها ثم يقول أنه لم ير بها إلا جامعها حيث يصفه بالمتقن الرائق ذو الفضاء الواسع الرحب، ويعود إلى الحديث عن العلم إذ لم يجد بها عالماً سوى الشيخ الفقيه أبا زيد عبد الرحمان بن محمد بن علي بن عبيد الله النصاري الأسدي، يقول في (البيت 33) من رحلته (الصفحة 569) :

وجئت القيروان فجئتُ قفراً      يُجيبُ صدهُ بالصوت الشجيِّ

هذا البيت يدل على إنعدام العمران والمساكن وخلو المدينة من السكان.

ويواصل العبدري رحلته بوصوله إلى قابس يقول في (البيت 34) من رحلة الشعرية :

وقابس قد نزلتُ بها سؤالا      فكانت مثلها سياً بسياً

أسلفنا ذكر مدينة قابس في موضوعات الرحلة الواردة في (الصفحة 52)، إذا يصفها بالمدينة العابسة المتشائمة، لا هواءها لطيف ولا ناسها كرماء طيبون، كما عندهم قلة الإعتناء بالمساجد، والصلوات يضيعونها حق تضييع، كما أن هذه المدينة حسب وصف الرحالة قد درات بها غابة من نخيل طمست ثمارها يد كل بخيل.

أما عن العلم والمعارف في قابس فقد اضمحت صورته وركدت ريحه وغاب، حيث لم يحدثنا الرحالة عن عالم صادفه هناك.

<sup>1</sup> - وهبية جرفي، مرجع سابق، ص123.

تطرق الرحالة " التجاني " إلى وصف قابس لما احتوته من مناظر خلابة يقول: « ولها أرياض واسعة وجل أسواقها في أرياضها\*، وقد دار بسورها خندق مشع يجرون الماء إليه (...) ولها واد يسقي بساتينها ومزارعها، ويخترق في كثير من مواضع الغابة دورها وشوارعها». ثم يتحدث عن المكاره التي اتصفت بها مدينة قابس يقول: « ومن المكاره التي حفت بها جنة قابس، ما يتعاهدها من الوياء، وينتاب ساكنها من الأمراض»<sup>1</sup>. ويقول الوزان عن سكان قابس أن بشرتهم سوداء اللون، وهو فلاحون فقراء أو صيادون فقراء، مرهقون بالأتاوات، سواء من قبل العرب أو من جانب ملك تونس<sup>2</sup>.

ثم مرَّ بطرابلس التي يجد فيها هي الأخرى مناظر يرتاح لها الناظر، ولا علما يستفاد منه الحاضر، بلاد مقفرة لا شجر فيها ولا ثمر، لا حوض فيها ولا نهر، ويصفها قائلاً: « هي اقفر من جوف حمار»، يقول في رحلته الشعرية (البيت 35) من (الصفحة 569) :

رُحِتْ إلى طرابلس فقالت: رمت أهلي الحوادثُ عن قسي\*

نجد" ابن حوقل "يعارض ما ذهب إليه العبدري في وصف طرابلس يقول: « أطرابلس (هكذا) مدينة بيضاء، وكان لها في ريضها أسواق كبيرة، فنقل السلطان بعضها إلى داخل السور وارتفاعها دون ارتفاع برقة في وقتنا هذا»، ويصف أهل طرابلس بالإيمان والتقوى والعفة والضيافة واعتدال المزاج<sup>3</sup>.

يضيف الحسن الوزان في وصف طرابلس أن بيوتها جميلة بالقياس مع بيوت تونس وأسواقها منسقة، مع انفصال في جماعات المهن، ولاسيما فيما يختص بالحاكة، وليس فيها موارد ماء، ولا آبار، ولا شيء سوى الخزانات، وندرة الحبوب فيها شديدة لأن كل أريافها

\* أرياض المدينة: ماحولها، واحدها: ريض.

<sup>1</sup> - علي ابراهيم كردي، مرجع سابق، ص 43.

<sup>2</sup> - ابن الوزان الزياتي، مرجع سابق، ص 465.

\* - القسي: جمع قوس.

<sup>3</sup> - عبد الحفيظ بورايو، مرجع سابق، ص 37.

عبارة عن رمل<sup>1</sup>. كما تحدث الوزان على المعالم الموجودة بها والتي تتمثل في الجوامع والمدارس والمستشفيات.

في حديثه عن مصراطة يقول في (البيت 36) من رحلته الشعرية في (الصفحة 569):  
وفي مصراطة سحّت\* جفوني      لما أبت من النصح الجليّ

فهي مدينة ظاهرة القرى، جميلة المناظر، ينبهر بها المتأمل ويعجب بها المتخيل.

أما عن التعاملات التجارية يقول الحسن الوزان في أهل مسرارة: «أهل مسرارة أغنياء لأنهم لا يؤدون أية إتاوة ويتعاطون التجارة، يأخذون البضائع التي تحملها إلى بلادهم سفن البندقية، ويحملونها إلى نوميديا حيث يستبدلون بها الرقيق وقطع الزباد والمسك، الواردة من إثيوبيا والسودان، ثم يحملون كل ذلك إلى تركيا، محققين أرباحاً من رحلة الذهاب ورحلة الإياب»<sup>2</sup>.

أما عن سكانها فيقول الوزان أنهم واسعو الثراء لا يدفعون أية ضريبة، ويزاولون التجارة فيأخذون البضائع التي تصل إلى البلاد على سفن البنادق وينقلونها إلى نوميديا<sup>3</sup>.

ثم يصل العبدري إلى قصور سرت التي كانت له فيها كلام كثير يقول في (الأبيات من 40 إلى 44) من قصيدته :

وباحت بالنداء قصور سرت      فأورّت زند فكر الألمعي\*

وقالت لي: أقمْتُ هنا زمانا      أشاهد عبرة في كل حيّ

<sup>1</sup> - ابن الوزان الزياتي، مرجع سابق، ص 470.

\* - سحّ: سال وصبّ .

<sup>2</sup> - وهيبة جرفي، مرجع سابق، ص 114.

<sup>3</sup> - ابن الوزان الزياتي، مرجع سابق، ص 482.

\* - الألمعي: الذكي المتوقد الحديد اللسان والقلب.

وكم نُشِرتُ عليَّ بنود\* ركب  
عليهم غابة من سمهري\*  
فما طال المدى إلا قليلاً  
وقد عفاهم\* مرُّ الأتْي\*  
رأيت الدهر يُسَحَّتْ\* كلَّ حيِّ  
يكرُّ على الجبان مع الكميِّ\*

أورد العبدري أن البكري ذكرها في مسالكة بأنها مدينة كبيرة على ساحل البحر بها نخل وبساتين.

بعد خروجه من قصور سرت توجه إلى برقة التي تقع في الجزء الشرقي من ليبيا حالياً يقول في (البيت 45) من رحلته الشعرية :

وقد برقت ببرقة لامعات      تلين عريكة القلب القسيِّ

كان له في برقة حديث مطوّل إذ وصفها بأنها مدينة قديمة بناها الروم، حيث أورد أن هناك اختلافات في تسميتها، ولقد سلط الضوء على أهل برقة واصفاً إياهم بالفصاحة وطلاقة اللسان يقول في هذا الصدد: «... وعرب برقة اليوم من أفصح عرب رأيناهم»، كما تحدث عن أزياء نساء برقة وذلك في قوله: «ومن العجب عندهم أن كل امرأة لا بد لها من خرقة تسدلها على وجهها ويسمونها البرقع، وهي تخلل الناس مكشوفة الرأس والأطراف حافية القدمين ولا تهتم بستر ما سوى وجهها، كأن ليس لها عورة سواه» وهذا القول وارد في موضوعات الرحلة في (الصفحة 53).

\*- البنود: أعلام الفرسان.

\*- السمهري: الرمح الصليب العود.

\*- عفى الأثر: محاه.

\*- الأتْي: السيل.

\*- يُسَحَّتْ: يستأصل.

\*- الكمي: الشجاع المقدم الجري.

كما تحدث عنها كذلك ابن حوقل قائلاً: « فأما برقة فمدينة وسطية (متوسطة)، ليست بالكبيرة الفخمة ولا بالصغيرة الزرية، ولها كور عامرة، وهي في بقعة فسيحة تكون مسيرتها يوماً (...). وأرضها حمراء خلوقية التربة وثياب أهلها أبدأً حمرة وهي بحرية برية جبلية، وهي أول منبر ينزله القادم من مصر إلى القيروان»<sup>1</sup>.

من برقة الى الإسكندرية يقول في (البيت 46) من رحلته :

وسل الاسكندرية اين ولى                      وسل عن ساكن اسكندريّ

وصفها ببلد الاشراق ومدينة الحصانة وطلاوة المنظر، حيث لم يآثر عليها الزمان ولم ينل منها الدهر، مليحة البنيان، جميلة المنظر وعجيبه المساكن، ثم يتحدث عن ابوابها ويتعجب من إتقان عتبتها، ثم ينتقل الى الحديث عن اهلها الذين لا يواظبون على تأدية دينهم إضافة الى ان لهم عادة سيئة حيث يقومون بتفتيش النساء والرجال، ثم يتحدث عن منار الاسكندرية واصفا اياه بكل مواصفاته كما اوردناه في موضوعات الرحلة في (الصفحة 55).

هذا " جيراردو نيرفال " الشاعر الفرنسي الذي زار الإسكندرية في 15 جانفي 1848م الذي تعجب من جمال ابنية الاسكندرية التي ذكرته بالقصور التي يسكنها الأمراء في جنوة وفينيسيا حيث قال: « هي منازل ذات أفنية تحيط بها الاعمدة وقاعات رائعة الزخرفة أرضيتها من المرمر وتكثر فيها النافورات، وحدائق تظللها أشجار ثمينة، وللأسف فان الكثير من هذه المنازل مهددة بالانهيار لأنه يرجع الى عهد المماليك (...) فالى جانب القصور الحقيقية توجد مساكن بائسة فقيرة مهترئة»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الحفيظ بورايو، مرجع سابق، ص 37.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 61-62.

في المقابل نجد الرحالة "ابن جبير" يفتخر بالإسكندرية من حيث العلم والتعبد والطب يقول: «المدارس والمحارس\* الموضوعة فيه لأهل الطب والتعبد يغدون من الأقطار النائية فيلقى كل واحد منهم مسكنا يأوي إليه، ومدّرسا يعلمه الفن الذي يريد تعلمه، وإجراء يقوم به في جميع احواله. واتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء الطارئین حتى امر بتعيين حمامات يستحمون فيها (...) ووكل بهم أطباء يتفقون أحوالهم...»<sup>1</sup>.

نجد الرحالة ابن رشيد قد ذكر هو الآخر منار الاسكندرية واصفا اياه كالآتي: «... ومن عجائب الاسكندرية منارها الذي يعجز عنه الواصف، ويحار فيه الراصف، وضخامته من داخله اكثر مما هي من خارجه، وهو من عجائب المصنوعات وغرائب المرئيات»<sup>2</sup>.

أشار العبدري الى الآثار الموجودة في مصر، من اضرحة وزوايا واهرامات ومباني عجيبة، دون ان ينسى ذكر نهر النيل الذي اعتبره من عجائب الدنيا، حيث يتصف بالاتساع والعذوبة، وتحدث كذلك عن تدني اخلاق اهل مصر وسوء عاداتها واصفا اياهم بقلة الحياء والتستر والفحش، حيث نعتهم بحتالة العباد ونفاية البلاد، مركزا على جانب مهم هو قلة التحفظ من جهة، وإهمالهم للنظافة من جهة اخرى. يقول في (البيت 48) من رحلته الشعرية:

بقاعدة الديار ديار مصر      وسل بعبيدهم والقرمطي\*

كما اهتم "نيرفال" بوصف حمامات القاهرة التي كانت: «ابنية رائعة طالما ملأها الخيال الأوربي بالغانيات والحوريات»، وتتميز هذه الحمامات بقبابها المملوءة بالتقوب مما

\* المحارس: جمع محرس، مأوى مخصص للدارسين والزهاد والمسافرين والفقراء.

<sup>1</sup> - علي ابراهيم كردي، مرجع سابق، ص 36.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 52.

\* القرمطي: هو الحسين بن زكرويه، كان يدعي الانتماء الى الطالبين، لقب نفسه المهدي امير المؤمنين.

يجعلها تشبه السماء، والمستحمون يلتفون في قطعة طويلة من قماش الكتان تجعلهم يشبهون التماثيل القديمة.

أما عن الزي النسائي كتب نيرفال صفحات مطولة ضمنها جزء من كتابه "رحلة إلى الشرق" تحت عنوان "نساء القاهرة"، يقول: «إن زي النساء الغامض يجعل الحشد الذي يملأ الشوارع أشبه بالحفلة التتكرية... يسرح الخيال ازاء الغموض الذي يكشف وجوه النساء ولا يمتد الى كل مفاتهن (...). وترى من خلال الفتحة التي تظهر بينه وبين القناع الطويل المسمى (برقعا) عينا جميلة وشعرا ملفوفا ضيق الثنايا»<sup>1</sup>.

أما عن عادات الطعام فيقول الحسن الوزن: «يستعملون في غذائهم كثيرا من اللبن والجبن الطري، لكن يستهلكون أيضا كثيرا من اللبن الحامض الذي يخثره بوسائلهم الخاصة، ويملحون جنبهم كثيرا فلا يستسيغ الغريب الذي لم يتعود على ذلك ما يستلذونه من الطعام، ويضعون اللبن الحامض في كل انواع الحساء عندهم تقريبا»<sup>2</sup>.

كذلك لم يغفل التجيبي عن وصف المشاهد والمقابر، فوصف في القاهرة روضة الإمام الشافعي وقبر ابي عبد الحكم، وقبر عثمان بن صلاح الدين الأيوبي، ووصف الجيزة، وأهراماتها، وأبا الهول، ومنية ابن خصيب، ووصف مدن أسيوط واخميم وقوص وعيذاب وجدة<sup>3</sup>. كذلك ابن خلدون يصف القاهرة قائلا: «... رأيت حضرة الدنيا وبستان العالم، ومحشر الأمم ومدرج الذر من البشر، وإيوان الإسلام وكروسي الملك، تلوح القصور والأواوين في جوه، وتزهو الخوانك والمدارس بأفاقه وتضيء البذور والكواكب من علمائه، مثل شاطئ نهر النيل، نهر الجنة (...). يجبي اليهم الثمرات والخيرات»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الحفيظ بورايو، مرجع سابق، ص 62.

<sup>2</sup> - وهيبه جرفي، مرجع سابق، ص 124.

<sup>3</sup> - علي ابراهيم كردي، مرجع سابق، ص 59.

<sup>4</sup> - حسني محمود حسين، مرجع سابق، ص 58.

يكمل العبدري رحلته بوصوله الى أيلة يقول في (البيت 53) من رحلته:

وسل في أيلة برا وبحرا      وينبع سل بمنقطع ثويّ

تقع أيلة بين البحر الابيض المتوسط وشبه الجزيرة العربية تحديدا في الأردن، وتحتوي المنطقة على العديد من الآثار منها متحف العقبة ومتحف الآثار الأردني في عمان.

استشهد العبدري بقول أبي عبيدة اثناء حديثه عن أيلة قائلاً: «أنها مدينة على شاطئ البحر من بلاد الشام، وهي نصف الطريق من فسطاط مصر إلى مكة»<sup>1</sup>، كما تحدث العبدري أثناء رحلته عن عقبة أيلة وأسواقها التي يختلط فيها المصريون والشاميون حيث نجد فيها العديد من أنواع المبيعات وخاصة الطعام على الرغم من غلاء سعره. وهذا الحديث أسلفنا ذكره في موضوعات الرحلة الواردة في (الصفحة 58).

ينتقل العبدري من أيلة إلى الدهناء وهي صحراء رملية حمراء في الجزيرة العربية، تتوفر على عدد قليل من الأودية التي تتشكل نتيجة الأمطار، قال العبدري فيها في (البيتين 62 و63):

وفي الدهناء باح ولم يداهن      لسان الحال بالسر الخفيّ

فسل فيها منازل عافيات\*      كوشم لاح في كف الهدى\*

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 337.

\* - عفت الرياح الاثار: اذا درستها ومحتها.

\* - الهدى: العروس تهدي الى زوجها.

تطرقنا بالحديث عن الدهناء في موضوعات الرحلة الواردة في (الصفحة 59) حيث قال فيها: « من ينبع إلى الدهناء مسيرة نصف يوم، وهي من عمل ينبع، وبها ماء معين، ونخل كثير، وأرضها سبخة، وماؤها طيب»<sup>1</sup>.

بعد الدهناء واصل الرحالة مشواره الى بدر يقول في (البيت 64):

وسل بدر بعير من قريش      وعن فرسانها وسط الرُّكبي\*

تطرقنا إلى ذكرها في موضوعات الرحلة في (الصفحة 59) حيث وصف ما تحتويه من نخل وعمران وماء ومسجد، ثم انتقل الى حديثه عن سكان بدر الذين نعتهم بالضعف ذاكرا مقبرة المسجد التي احتوت على قبور شهداء بدر رضي الله عنهم، ثم تحدث عن الغار الذي دخله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله حين هاجرا من مكة.

ثم انتقل الى خليص وتحدث عن منظر المنطقة، فهي تتميز بمناظر طبيعية جذابة تجلت في النخيل، الماء الجاري اضافة الى احتواءها على سوق عظيمة يبيعون فيها الغنم والتمر. يقول في (البيتين 65 و66):

وجئت خليص اسال عن نجي      من الافات في الدنيا سري

فقال: ما سمعت بمشرقي      نجا من صرفها او مغربي

من خليص ارتحل الى مر التي كانت تسمى قديما "وادي فاطمة" تقع غرب المملكة العربية السعودية حاليا، وهو واد خصب وفير الماء يقول فيه العبدري (الأبيات من 67 الى 70):

وكررت السؤال ببطن مرّ      فقيل: ضللت عن نهج سوي

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص346.

\* الركي: جمع ركية وهي البئر، وفيه اشارة الى قتلى بدر من الكفار الذين وضعوا في القليب.

فلا وأبيك ما في الارض حي  
وفي سهم الحتوف ولا ابن حي  
وشأن الدهر حل واتحال  
وبطش بالعدو وبالولي  
ولما جئت مكة قمت فيها  
مدل،\* والفقير على الغني

بعد هذا المشوار الطويل ختم رحلته بوصوله الى البقاع المقدسة بعد سفر طويل مرهق  
يقول في رحلته الشعرية :

ولما جئت مكة قمت فيها  
أسائلها بكعب أو لؤي\*  
فقال قد سطا بهما منون  
وبعدها اناخ عن قصي\*  
وما راعت عياذ أبي خبيب\*  
ببيت الله و الحرم العلي

نلمح إعجاب العبدري بمكة لقداستها، حيث يصف مناظر الطبيعة من بنيان عريقة  
وجبال شامخة، ثم استمر في الوصف بحديثه عن المسجد الحرام فقد أعطى لمحة شاملة  
عنه، وذكر بئر زمزم كما هو وارد في (الصفحة 60) من موضوعات الرحلة.

تطرق الرحالة التجيبي إلى ذكر مكة فوصف مسجدها، الكعبة، الحجر الأسود، الملتزم  
والحطيم، الحجر والميزاب، مقام إبراهيم، بئر زمزم، منى، ووصف بعض جبال مكة وعرض  
لمن لقيه من علمائها<sup>1</sup>.

\* - المدل: الجريء.

\* -كعب ولؤي: جدان من اجداد قريش.

\* -قصي بن كلاب: جد من اجداد قريش.

\* -أبو خبيب: هو عبد الله بن الزبير، حاصره جيش الحجاج في بيت الله الحرام، وقتله ثمة.

<sup>1</sup> - علي ابراهيم كردي، مرجع سابق، ص60.

يقول ابن جبير عند وصوله إلى مكة المكرمة في الثاني عشر من ربيع الآخر سنة 589هـ/1183م :

بلغت المنى وحللت الحرم  
فأهلاً بمكة أهلاً بها  
فعاد شبابك بعد الهرم  
وشكراً لمن شكره يلتزم<sup>1</sup>

حيث يستطرد في وصفها في عهده قائلاً: « وجدة هذه قرية على ساحل البحر المذكور أكثر بيوتاً أحضاض، وفيها فنادق مبنية بالحجارة والطين، وفي أعلاها بيوت من الأحضاض كالغرف (...) وبهذه القرية اثار قديمة تدل على انها كانت مدينة قديمة (...) وبها موضع به قبة مشيدة عتيقة، يذكر انه كان منزل حواء أم البشر، صلى الله عليها، عند توجهها إلى مكة»<sup>2</sup>.

أخيراً تحدث عن المدينة المنورة وأعطى كل التفاصيل الملمة عنها بدءاً من المسجد الشريف واصفا اياه بكل تفاصيله. وقد اشرنا اليه سالفاً في موضوعات الرحلة (الصفحة 61).

يقول ابن جبير عند استقباله للمدينة المنورة :

أقول وأنست بالليل نارا  
وإلا فما بال أفق الدجى  
لعل سراج الهدى قد أنارا  
كان سنا البرق فيه استطاراً<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - عواطف محمد يوسف النواب، مرجع سابق، ص 101.

<sup>2</sup> - أحمد رمضان أحمد، مرجع سابق، ص 333.

<sup>3</sup> - عواطف محمد يوسف النواب، مرجع سابق، ص 101.

## المبحث الثالث: مقارنة رحلة العبدري الشعرية برحلته النثرية:

يعد العبدري من أهم الرحالين المغاربة في القرن السابع الهجري، وكان الهدف من رحلته أداء فريضة الحج، وطلب العلم، ولقد دون العبدري مشاهداته في رحلة جلييلة الفوائد عظيمة القيمة هي "رحلة العبدري" أو "الرحلة المغربية".

اهتم العبدري في رحلته بالناحية العلمية للبلدان التي مر بها، وترجم لعدد من الشيوخ الذين لقيهم، ودون ما أخذ عن كل واحد منهم من فقه، وحديث وأدب، وغير ذلك، مما جعل الرحلة اقرب ما تكون الى فهرس لشيوخه حيث لم يغفل عن النواحي العمرانية في البلدان التي مر بها، ولا الآثار الباقية، ولا النواحي الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية والتاريخية مما يزيد في قيمة الرحلة ويجعلها مصدرا مهما للدارسين.

قام العبدري برحلته في 25 ذي القعدة سنة 677هـ برا من بلده "حاحة" على المحيط الأطلسي في المغرب الأقصى وقطع كثيرا من المدن في المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر، ثم دخل أراضي الحجاز، فأدى فريضة الحج، وبمم شطر فلسطين فزار بعض مدنها ثم عاد الى بلده برا<sup>1</sup>.

وقد كانت انطلاقة من بلده "حاحة"، يقول في (البيت 11) من رحلته الشعرية:

مررت بحاحة فسألت عمّن	أناخ بآخر الغرب القصيّ
فقلت: خلفوني ذات شجو	ابكي بالغداة وبالعشيّ
اناخ بهم زمان ليس يرثي	لغيلان، ولا يعنى بميّ
وقد أهدى الكسوف الى اناسٍ	تراهم كالبذور لدى النديّ

<sup>1</sup> - البلوي خالد، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، (د.ط)، تح: الحسن السائح، المحمدية، (د.ت)، ص 1.

يقابل ذلك في رحلته النثرية سألقة الذكر، حيث اورد فيها رؤيته للشيخ الفقيه القاضي الإمام أبا الوليد الباجي، رحمه الله في المنام، فخطر له ان يقرأ عليه شيئاً من كلامه قال:

إذا كنت أعلم يقينا  
بأن جميع حياتي كساعه  
فلم لا أكون ضنينا بها  
واجعلها في صلاح وطاعه<sup>1</sup>

من حاجة انتقل الى السوس التي قال منشدا فيها:

وجئت السوس اسأل وهو أقصى  
فقال: إليك عن كمد شجي  
ألم ترني وحيدا من أناسي  
كما عطلت كعاب من حلي  
وظفت بلاده أرضا فأرضا  
تخبرني بموتهم الوحي

في المقابل نجده يربط السوس بأنسا الذي يقع على جبل يشرف على أرض السوس واصفاً إياها في رحلته النثرية بقوله: «أكثر بلادهم حصون مجموعة وأنهار جارية، وقلما تخلو من الحروب والفتن، وربما تحارب أهل الموضع الواحد، فيتقاتلون عامة النهار، فإذا أوهم الليل أووا إلى بيوتهم»، كذلك مواظبتهم على الصلاة في الجماعة كما أنهم أهل ذمام\* واحترام وحماية الجار وإيواء للغريب<sup>2</sup>.

بعد اجتيازه لمدينة السوس انتقل الى تلمسان التي ذكر فيها قائلاً :

ووافينا تلمسانا فأبدت  
على أهل مضوا شجو النعي

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص ص 21-22.

\*الذمام: العهد والأمان والكفالة.

<sup>2</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 43.



ألا أعلم بأن الموت كأس مدارة  
على كل من قد راح فيها ومن غدا  
وغضب رسوم شيم في شيع الوري  
وما ربي يوماً بعدما شيم مغمداً<sup>1</sup>

كما التقى أيضا بمجموعة من الفقهاء أمثال الفقيه النحوي المسن أبا علي الحسن بن عبد الرحمن الكناني الشهير بالرفاء وقرأ عليه "مقامات الحريري"، والفقيه العالم المسن أبا بكر محمد بن محرز الزهري وقرأ عليه أكثر "التلقين"، وكذلك الإمام العالم أبا المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي وقرأ عليه "التنقيحات" للسهروردي<sup>2</sup>، ومن الرجال الصلحاء الذين لقيهم العبدري أثناء تواجده بتلمسان الفقيه أبا العباس الطرسوني أحد الزهاد، وكذلك أبا عبد الله السمار المؤدب وكان أحد الفضلاء الزهاد، والفقيه الخطيب بجامع مرسية أبا عبد الله بن فتح، والفقيه الورع أبا عبد الله النجار<sup>3</sup>.

من تلمسان سافر إلى مليانة يقول منشداً:

وكذا مليانة أبدت عويلاً  
لأهل ضمهم جرف الأتي

في هذا الصدد يقول في رحلته النثرية: «وكان رحيلنا بعد المقام المطول لخمس خلون من شهر ربيع الأول، فنكبنا عن طريق المدينة يساراً، وسرنا لا نألو جدا وانشماراً»<sup>4</sup>، ثم يتحدث عن العلم يقول: «وما بقي بها من له بالعلم أدنى عناية، ولكننا قد استفدنا به حكاية وهي أن بعض الكتاب كان يكتب كتاباً عن أمير، فلما قرأه عليه لم يرضه فمزقه فكتبه ثانية فمزقه، فلما رأى تسعفه أخذ قرطاساً ونظم فيه ارتجالاً:

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص ص 73-74.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص ص 63-64.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص ص 65-66.

\*الانشمار والاشتمار: المضي والنفوذ.

<sup>4</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 78.

رأيتك تكويني بميسم منة كأنك أنت اليوم علة تكويني

وتلويني الحق الذي أنا أهله وتمطلني فيه بعذل وتلويني»<sup>1</sup>

وأصل العبدري رحلته إلى أن وصل إلى الجزائر يقول في البيت العشرين من رحلته المنظومة :

ورحت إلى الجزائر ذا سؤال ففيل: سألت عن هيّ بن بيّ

دع التسأل عن حل تريا وبادر منهج البرّ التقي

نلتمس وصفه للجزائر في رحلته النثرية بذكره للمشاهد والمقاهي والمناظر الخلابة الموجودة بها، وكذا الحمامات والتلال الخصبة والقصور والمعالم الأثرية يقول العبدري مبدياً إعجابه بمناظر المدينة، واصفاً إياها بالحسن والبهاء: «...ثم وصلنا إلى الجزائر وهي مدينة تستوقف بحسنها ناظر الناظر، ويقف على جمالها خاطر الخاطر، قد حازت مزيتي البر والبحر، وفضلتي السهل والوعر، لها منظر معجب أنيق وسور معجز وثيق (...). ولكنها قد أقفرت من المعنى المطلوب كما أقفر من أهله ملحوب»<sup>2</sup>.

بعد خروجه من الجزائر توجه إلى بجاية يقول في (البيت 22) من رحلته الشعرية:

وقالت لي بجاية: أنت خلو فيا ويح الشجي من الخليّ

تسائل عن أمور ظاهرات عقرت لها ظهورا للمطيّ

أبدى العبدري في رحلته النثرية سخطه وعتابه تارة، وإعجابه ورضاه تارة أخرى، حيث ذكر الميناء، والمساجد الموجودة بها، كما اهتم بجانب الدين والعلم، وكذا أخلاق أهل بجاية

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 81.

<sup>2</sup> - محمد العبدري البلنسي، مرجع سابق، ص 49.

واهتم أيضا بمبانيها العتيقة وجبالها الوعرة. ويذكر الحسن الوزان أن أهل بجاية على قدر كبير من الغنى، فكانوا يسلحون مراكب وسفنا حربية ويرسلونها لغزو سواحل اسبانيا (...). ويعيش الناس في فاقة لأن أراضيها الزراعية هزيلة للغاية لا تنتج الحبوب، ولكنهم مغمورون بالثمار<sup>1</sup>. وقد دامت مدة إقامة العبدري بها يومان، حيث التقى بالشيخ الفقيه الخطيب الصالح المسند الراوية أبا عبد الله محمد بن صالح ابن أحمد الكناني الشاطبي، وهو شيخ على سنة أهل الدين، لقيه العبدري في بجاية، وقرأ عليه بعض كتاب "الموطأ" وبعض كتابي "التيسير" و"المقنع" لأبي عمرو الداني، وبعض كتاب "الشمال" للترمذي وكتاب " فضل قيام الليل" وكتاب " فضل تلاوة القرآن" للإمام أبا بكر الأجري، ثم أجازه إجازة عامة<sup>2</sup>.

واصل العبدري رحلته الى بني ورار التي لم يطل الحديث فيها، يقول في (البيت 24):

وجئت بني ورار وهي عمري      أثارت كامن الشجي الخفي

يقابل ذلك حديثه في رحلته النثرية عن العين الموجودة ببني ورار التي تسقي البلد وتشفي الغل، ثم ربط حديثه بمدينة ميلة التي شبهها بمليانة قائلا في (البيت 25) من رحلته الشعرية :

وميلة لم تمل عن نهج نصح      أصخ إن كنت ذا فهم سني

حيث لم يجد بها إلا رسوما بحوادث الدهر محلية، كما تحتوي ميلة على معالم كالمسجد وتمثال المرأة، وبها عين وأثار الرومان القديمة كل هذه الآثار متواجدة بميلة القديمة تحديدا.

من ميلة وصل إلى قسنطينة التي وصفها بالمدينة العجيبة الحصينة قال في (البيت 26)

من رحلته:

<sup>1</sup> - ابن الوزان الزياتي، مرجع سابق، ص 422.

<sup>2</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص ص 84-86.

ومن شاء الحديث فقل قسنطي

نة تروي حديث المغربي

في مقابل هذا نلمحه في رحلته النثرية يتغنى بجمال قسنطينة واصفاً أبنيتها القديمة وأراضيها الزراعية الخصبة، كما تحدث عن العلم والعلماء بها حين التقى بإبن باديس قال: « ولم أر بها من ينتمي إلى طلب، ولا من له في فن من فنون العلم أرب، سوى الشيخ أبي علي حسن بن بلقاسم بن باديس»<sup>1</sup>.

ثم مر ببونة التي وصفها بأوصاف لم ترق أهلها قال في (البيت 27) من رحلته :

وبونة قد ابانت من ابانت صروف الدهر من سام سري

في الشأن نفسه يقول في رحلته النثرية: « ومن أغرب المسموعات أننا صادفنا - وقت المرور بها - زوبرقا للنصاري، لا تبلغ عمارته عشرين شخصا، وقد حصروا البلد حتى قطعوا عنه الدخول والخروج، وأسروا من البر أشخاصا فأمسكهم للفداء بمرسى البلد، وتركناهم ناظرين في فدائهم، ومن مولانا اللطيف الخبير نسأل اللطف بنا في احكام المقادير».

استعمل العبدري مصطلحات العروض كما نجدها في وصف مدينة بونة: « ثم وصلنا إلى مدينة بونا فوجدناها بطوارق الغير مغبونة، مبسوطة البسيط، ولكنها بزحف النوائب مطوية مخبونة...»<sup>2</sup>.

من بونة عرج الى قرية خولان قائلا في رحلته الشعرية في البيت (28) :

وفي خولان اطرقت اعتبارا « جرى الوادي فطمّ على القري »

<sup>1</sup> - محمد العبدري البلنسي، مرجع سابق، ص 59.

<sup>2</sup> - محمد العبدري، المرجع نفسه، ص 104.

في مقابل ذلك نجد في رحلته النثرية يصفها بأنها قرية خالية من السكان، قليلة العلم والعلماء، تحتوي على فناء رحب. يقول فيها: «... ولكن أيدي الخطوب قد زوته\* فانزوى وأظمأت أهلها وهم شرع في الماء الرّوى»<sup>1</sup>.

من قرية خولان إنتقل مباشرة الى باجة\* يقول في (البيت 29) من رحلته :

وباجة بالبوائح قد أباحت وأمحل روضها من بعدريّ

في الشأن نفسه في رحلته النثرية يورد أن بقاءه في باجة لم يدم طويلا يقول: « ولم نقم بها إلا ظل نهار، فلم أختبر لذلك حالها حقيقة الاختبار»<sup>2</sup>.

من العلماء الذين التقى بهم الأديب النحوي أبا علي حسين بن محمد الطبلي يقول العبدري: « سألته عن نسبه المتقدمة، فقال لي: هو لقب جرى علينا قديما واشتهرنا به، وقد قرأت عليه بعض كتاب "المقرب" في النحو، وحدثني بجميعه قراءة على مؤلفه الشيخ الاستاذ النحوي أبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن عبد الله بن منظور بن عصفور الحضرمي الإشبيلي، وقيد لي هذا النسب بخطه»<sup>3</sup>.

بعد خروجه من باجة توجه صوب تونس منشدا فيها قوله:

ولما جئت تونس وهي خود زهت بجمالها وبحسن زيّ

سألت عن الألى هاموا اليها فكم برّها منهم حفيّ

\* زوى الشيء: جمعه وقبضه.

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 104.

\*-باجة: بلد بافريقية كثيرة القمح، بينها وبين تنس يومان. تبعد 25 ميلا عن البحر المتوسط و 65 ميلا عن تونس.

<sup>2</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 105.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 105-106.

فقال: ما أرى منهم أنيسا

وشر الوصل وصل الأدمي

في هذا الصدد يصف تونس في رحلته النثرية وصفاً دقيقاً، إذا تكلم عن أهلها وأرباضها وبساتينها ومساجدها، والأهم حديثه عن العلم والعلماء بها يقول: «وأهلها ما بين عالم كالعلم، رافع بين أهله للعلم ومعطل حدّ الطبا بحدّ القلم، ومسلم على ربع بذي سلم، شاك من وجده فرط الألم، فاقت بحسن مغانيها، وإتقان مبانيها غيرها من المدن وطالت، وسطت بنخوتها، وانتخت بسطوتها على قواعد الشرق والغرب وصالت، وترجم حسنها البهيج وعرفها\* الأريج عن معناها، ولو نطقت لقال: :

فألت\*: يمينا لاخطبت على زوج

أنا الغادة الحسناء فاق جمالها

فما بي-ولا فخر- الى الزوج من حوج

إذا الغانيات ارتدن وصل بعولة

وأطرق نون اليمّ في ظلم الموج»<sup>1</sup>

أغادي إذا ما شئت ضيبا بقفرة

كما تحدث عن الساقية الموجودة بالمدينة قائلاً: « وأما الساقية المجلوبة من ناحية زغوان فقد استأثر بها قصر السلطان وجنانه إلا رشحا يسيرا سرب الى ساقية جامع الزيتونة يتسرب منها في أنابيب من رصاص، ويستقي منها الغرياء ومن ليس في داره ماء، ويكثر عليها الإزدحام».

كما وصف الجامع (جامع الزيتونة) بالمشرق، متقن الصنع.<sup>2</sup>

أثناء تواجده في تونس التقى مجموعة من الشيوخ الفقهاء نذكر منهم الفقيه الأديب أبا محمد عبد الله بن محمد بن هارون الطائي القرطبي يقول فيه: « وهو شيخ وطيء الأكناف

\*-العرف: الرائحة الطيبة.

\*-وآلت: أقسمت.

<sup>1</sup>- محمد العبدري، مرجع سابق، ص 109.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص 110.

ليف الجانب لقاصديه، له رواية عالية لكبر سنه» يقول أيضا: « وقرأت عليه بعض كتاب "التيسير" للإمام أبو عمرو المقرئ»<sup>1</sup>.

كما التقى أيضا أبا جعفر اللبلي يقول فيه: « وهو شيخ مسن قوي الرجاء، حسن الظن بأهل الدين، سريع العبارة، رحل قديما الى المشرق فحج، ولقي جماعة من الأئمة بالإسكندرية ومصر والشام والحجاز، وله برنامجان كبير وصغير». وعن مجالسته له يقول: « لقيته وجالسته أياما فقرأت عليه جملة صالحة من أول كتاب "الموطأ" رواية يحيى بن يحيى، وجميع كتاب "الجامع" من آخره»<sup>2</sup>.

كما صادف أيضا الفقيه أبا عبد الله محمد بن عبد المعطي بن محمد النفري يقول فيه: « شهر بابن هريرة-حفصه الله- لقيت منه خيراً فاضلاً، ذا مروءة وأخلاق جميلة، وله عناية بالتاريخ وخط من الأدب (...) وناولني كتابه الذي جمعه في "وفيات المشاهير من أهل كل فن وموالدهم ومنتف من أخبارهم" وأسعني مواضع منه، وأجازني سائره»<sup>3</sup>.

أضف إلى ذلك أنه التقى أبا العباس الغماز وفي ذلك يقول: « فممن واضبته مدة الإقامة، ولزمته لزوم الطوق للحمامة، الشيخ الفقيه الفاضل والحبر النزيه الكامل، قاضي القضاة، وزين الحملة والرواة، ذو التواضع والإنصاف، والمعروف بوطاءة الأكناف، مسند عصره، والمرجوع إليه في مصره، أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن بن محمد بن الغماز الخزرجي، وصل الله صيانتته، وأدام على الخيرات إعانتته» وفي الأخذ منه يقول: «فكلمته في قراءة جامع البخاري عليه، وأتيته بأصل منه (...)»<sup>4</sup>، وسمعت عليه أثناء ذلك دولا كثيرة في الموطأ وصحيح مسلم، وسنن الترمذي (...) وقرأت عليه أكثر "التيسير" للإمام المقرئ أبي

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص ص 114-115.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 116.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص ص 117-118.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص ص 489-490.

عمرو الداني رضي الله عنه، وسمعت عليه باقيه، وقرأت عليه "برنامج" الذي قيد فيه أسماء شيوخه (...). وقرأت عليه من تأليفه أيضا "مفاوضة القلب العليل على طريقة أبي العلاء المعري في ملقى السبيل" وأجازني حفظه الله إجازة عامة<sup>1</sup>.

ومما قرأت له في حرف الكاف من مفاوضة القلب العليل :

يا راكبا في نيل لذاته	مسالكا يعيا بها السالك
غرّتك دنيا منقض شأنها	وأنت لا بد لها تارك
خلاية، سلاية للنهي	أصدق ما غرّت به أفك
ما أمكنت من وصلها طالب	إلا انتنت وهي له فارك <sup>2</sup>

ومن شعر شيخنا أبا العباس المذكور حفظه الله تعالى قوله :

أيا سامع الشكوى ويا دافع البلوى	ويا كاشف الأسواء والبأس والضر
أسير خطايا يرتجي فك أسره	وإن لم يكن أهلا لفك من الأسر
ومالي لا أرجو إن كنت مسرفا	وأدري من الصفح الجميل الذي أدري <sup>3</sup>

كما التقى الشيخ أبي القاسم اللبيدي يقول: « ولقيت بها الشيخ، الجليل، الفاضل، العالم المسن، المسند، بقية السلف وقدوة الخلف، ذا الدين المتين، والمنهج الواضح المستبين صالح العلماء، وعالم الصلحاء، أبا القاسم بن حماد بن أبي بكر الحضرمي اللبيدي » يقول أيضا: « وما قرأت عليه حفظه الله كثيراً من "كتاب البخاري" وناولني سائره في أصلي (...).

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص ص 491-492.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 492.

<sup>3</sup> - مرجع نفسه، ص 494.

وقرأت عليه بعض كتاب "المعلم" للإمام أبي عبد الله المازري في أصله (...)<sup>1</sup> وقرأت عليه أيضا بعض كتاب "عوارف المعارف" للإمام أبي حفص السهروردي -رحمه الله- (...). وسمعت عن شيخنا المذكور دولا من "التيسير" للإمام أبي عمرو المقرئ، ومن كتب شتى في التصوف وغيره، وأجازني إجازة عامة<sup>2</sup>.

صادف كذلك الشيخ أبا محمد الخلاصي، وقرأ عليه من تأليف ابن مسدي "الأربعين حديثا في فضل الحج" وكتاب "الإعلام بقواعد الإسلام"، كما قرأ عليه "مختصر السيرة" لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء اللغوي صاحب كتاب "المجمل" وكتاب "المغني عن الحفظ" و"حصر الضعيف من الحديث بالأبواب" لأبي حفص عمر ابن بدر الحنفي<sup>3</sup>. والتقى أيضا بالشيخ أبا الحسن بن رزين التجيبي المرسي، والشيخ أبا القاسم بن أبي بكر اليميني المشهور بابن زيتون، والشيخ أبي الحسن التجاني، وكذا الشيخ أبا القاسم الأزدي المعروف بالقسي، والشيخ أبا محمد جابر بن محمد بن القاسم بن حسان الوادي آشي والشيخ ابن السكان وأبي يعقوب الجذامي، وكذا الشيخ الفاضل أبا محمد بن هارون، والشيخ أبا العباس البطرني.

بعد أن زار تونس وجالس فقهاءها توجه صوب القيروان حيث قال منشدا:

وجئت القيروان فجئت قفرا      يجيب صدها بالصوت الشجي

يقابل هذا البيت ما تناوله في رحلته النثرية حيث يصف القيروان ببلد القفار إذ قال أن ليس فيها بر ولا بحر، ولا سحر ولا نهر ولا ماء ولا مرعى، أراضيها مقفرة لا تنبت زرا كما

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص ص 495-496.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 497.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص ص 498-499.

انتقل إلى وصف مخلصيها قائلاً: «أهل الصرائم، النافذة الماضية، والصوارم القاصبة القاضية، (...) ماساح في الدو فدغد ولاح في الجو فرقد»<sup>1</sup>.

غير أن القيروان مدينة تزخر بالعلوم والمعارف إضافة إلى وجود الصالحين بها والمساجد العتيقة والمقابر التي تعد من المزارات العظيمة الشريفة، كما تحتوي المدينة على الأفاضل وأخير الأمة، نذكر بعض القبور الموجودة بها: قبر أبي زمعة البلوي صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، وكذلك قبر الشيخ الولي الفقيه العالم أبا الحسن علي بن محمد القابسي وقبر الشيخ أبا محمد عبد الله بن أبي زيد-رحمه الله-.

تحدث العبدري عن العلماء الموجودين بالقيروان، فلم يجد سوى الشيخ الفقيه أبا زيد عبد الرحمن الأنصاري الأسدي، المعروف بالدباغ يقول: «من أهل التهمم والعناية بالعلم، مع عدم المعتني به والطالب به والطالب له، موطأ الأكناف، لين الجانب، جميل العشرة (...)» وناولني " صحيح البخاري ومسلم" وقرأت عليه بعض الأحاديث الثنائية الإسناد من حديث مالك- رضي الله عنه- وناولني " الأحاديث الأربعين في عموم رحمة الله لسائر المؤمنين " <sup>2</sup> إضافة إلى ماسبق ذكره فقد نظم العبدري قصيدة بالقيروان بعث بها إلى ولده محمد، يقول فيها :

أصخ سمعا أوصك يا بني	وصية والدبر حفيّ
جرى القدر المتاح لنا ببين	قضاء جاء من ملك عليّ
وقد فتت نواكم في فؤادي	وأشجت بالأسى قلب الخليّ

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 158.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص ص 164-166.

وأبدلت المآقي عن كراها دموعا فيضها مثل الأتي\*<sup>1</sup>

ولولا أن حكم البين حتم يمر على المطاوع والأبي<sup>1</sup>

من القيروان وصل إلى قابس يقول في(البيت 34) من رحلته الشعرية :

وقابس قد نزفت بها سؤالا فكانت مثلها سيّا بسّي

على غرار ذلك نجده في رحلته النثرية ينعثها بالمخبر الخبيث أي المنظر السيء، إذ أن أهلها لا يواظبون على الصلاة، ولا يعتنون بالمساجد والمصليات، يتصفون باللؤم وطباعهم سيئة، وقد تحدث العبدري عن العلم بالمنطقة وأورد أن العلم قد ركبت ريحه إذ أن الجهل عندهم منتشر، يقول في هذا الصدد: «وأما العلم عندهم فقد ركبت ريحه والجهل لديهم لا يؤسى جريحه (...)» وهذا حكم استفدته من العيان، ونتيجة الإختبار لهم والإمتحان، نعم بها أحاد الفضلاء الصلحاء، كالشعرة البيضاء في اللمة\* السوداء، يستمطر بهم المزن إذا لم يُسبل سلبه\*، والنادر لا حكم له»<sup>2</sup>.

ثم يتحدث العبدري عن انتقاله في براري قابس يقول: « ثم قطعنا برية المراحل الحمر وهي ببداء، تغري بالرواحل الضمر، على أنها أقل البراري غررا\*، وأخفها مؤونة وضررا

\* - الأتي: السيل.

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص ص176-177.

\*- اللمة: شعر الرأس.

\*- السبل: المطر.

<sup>2</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص182.

\* - الغرر: الخطر.

ماؤها مورود، قلما يغب\* الورود، ولكن معالمها دوارس، ومسالكها طوامس\*، للرمال المنهالة والرياح الروامس\*<sup>1</sup>.

بعد تجواله في براري قابس، زار عدة قرى منها قريتي زاورة\* وزاوعة\* يصفها قائلاً: «ذوي الأنفس الخبيثة والقلوب الزواغة، متعقدات شنيعة وأعمال كسراب بقية، ومذاهب سوء ردية، وضائر شر عمر منهم كل طوية، إن استنام إليهم حاجٌ لم يوقظه إلا برد ماء التقديس (...). قطع الله دابرهـم وخضد\* أصاغرهم وأكابرهم، ولا أخلاهم من قارعة تجتاحهم قرعا وتسحتهم أصلا وفرعا».

يضيف: «ثم خطرنا على قرية زنور، ولم أخبرها، فلا أحدث عنها بزور، إلا أن مظهرها معجب مونق، وشجرها مخصب مورق»<sup>2</sup>.

بعد خروجه من قابس توجه إلى طرابلس قائلاً في (البيت 35) من رحلته :

ورحلت إلى طرابلس فقالت رمت أهلي الحوادث عن قسيّ

يقابل ذلك ما أورده في رحلته النثرية إذ نجده منكرًا خلوها من العلم، فقد وجد عادات سيئة كالبلخ، وشبه أهلها بأسنان الحمار لأنهم محدودو العقول، بالإضافة إلى غياب مناظر الطبيعة من شجر وثمر يقول واصفاً: «وخلق يضيق به متسع الفضاء، ونزق يحق له في ذمهم كشف الغطاء، وأذهان أربت في الضيق على الخاتم، من حارب ومن سالم :

\* - الغب: أن تشرب يوماً، ويوما لا.

\* - الطوامس: جمع طامس، وهو البعيد الذي لا يتبين من بعد، طمس الطريق: درس وامحى أثره.

\* - الروامس: الرياح التي تنقل التراب من بلد إلى آخر.

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 183.

\* - زاورة: بلدة ذات نخل وأشجار، أهلها من الخوارج، تقع على ساحل البحر.

\* - زاوعة: من بلدة إفريقية، سميت بزواغة قبيلة من البربر.

\* - خضد البدن: تكسره وتوجعه.

<sup>2</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص ص 183-184.

كأنهم من ضيق أفهامهم لم يخرجوا بعد إلى العالم<sup>1</sup>

إذ لم يثر إعجابه سوى جامعها ومدرستها يقول واصفاً: «ولم أر بها ما يروق العيون وسما عن أن يقوم بالدون، سوى جامعها ومدرستها، فإن لهما من حسن الصورة نصيباً، ومن إتقان الصنعة سهماً مصيباً، وما رأيت في الغرب مثل مدرستها المذكورة، لولا أن محاسنها مقصورة على الصورة، فما يشيب بها للعلم طفل». وكان قد حضر جلسة تدريس بالمدرسة إذ التقى بالشيخ المُسن القاضي الخطيب أبا محمد عبد الله بن عبد السيد، يقول: «هو بيت قصيدتهم، وكبش كتيبتهم، وواسطة قلاذتهم، وأنف سيادتهم، ذو سمت ووقار، وقد أثر الكبر في جسمه، كثير المواظبة للمسجد والذكر»<sup>2</sup>.

كما لفت انتباهه قبة باب البحر قال فيها: «ولم أر بأطرابلس أثر عناية (...) إلا قبة بباب البحر من بناء الأوائل، في غاية الإتقان، ونهاية الإحكام، مبنية من صخور منحوتة في نهاية العظم، منقوشة بأحسن النقش»<sup>3</sup>.

ثم توجه إلى مصراتة\* يقول منشداً:

وفي مصراتة سحّت جفوني لما أبدت من النصح الجليّ

في مقابل ذلك نجده في رحلته النثرية يبدي إعجابه بالمنطقة لما تحتويه من مناظر باهرة وقرى ظاهرة، يقول :

مساكن غصّت بسكانها ولكن تراهن كالغامر\*

<sup>1</sup>- محمد العبدري، مرجع سابق، ص185.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص186.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص ص194-195.

\*-مصراتة: مدينة من مدن طرابلس الكبيرة، وهي ذات أهمية تجارية منذ القديم.

\*- الغامر من الأرض: الخراب.

يُظن بها الحسن ذو غرة\* وما حسن دار بلا عامر

يواصل العبدري رحلته بوصوله إلى زيدك ذاكرا في رحلته النثرية: «ثم جُبنا البرية الرديّة  
زيدك معدن كل أذية، سباح تدهش النواظر، وتذهل بفرط ما تهول الخواطر، ومياه تحل قوى  
الأجسام وتثير كامن الأسقام، وتنفذ كما تنفذ السهام»<sup>1</sup> يقول في رحلته الشعرية :

وفي زيدك مسقط كل قفر بيان بالخطاب المعنويّ

يقول صبحتُ قبلكم أناسا غدوا لسهام دهري كالرميّ

وكم رمت لدي عظام شخص منيب، فاضل، برّ، تقّي

بعد اجتيازه للمفازة دخل إلى قصور سرت يقول فيها :

وباحت بالنداء قصور سرت فأورت زند فكر الألمعيّ

وقالت لي: أقمت هنا زمانا أشاهد عبرة في كل حيّ

وكم نشرت علي بنود ركب عليهم غابة من سمهريّ

فما طال المدى إلا قليلا وقد عفاهم مرّ الأتيّ

رأيت الدهر يسحت كلّ حيّ يكر على الجبان مع الكميّ

" سرت " هي مدينة تحتوي على مجموعة من القصور، حيث تقع على ساحل البحر  
المتوسط بين برقة وطرابلس، تزخرُ بالنخيل والبساتين، وقد ذكر العبدري في رحلته ما أنشده  
البكري في سرت قائلا :

ياسُرت لا سُرّت بك الأنفس لسان مدحي فيكم أخرس

\*-غر الرجل: جهل الأمور وغفل عنها.

<sup>1</sup>- محمد العبدري، مرجع سابق، ص ص 200-201.

ألبستم القبح فلا منظر يروق منكم لا، ولا ملابس

بخستم في كل أكرومة وفي فعال القبح لم تبخسوا<sup>1</sup>

بعد زيارته لقصور سرت أنتقل إلى برقة يقول في رحلته الشعرية :

وقد برقت ببرقة لامعات تلين عريكة القلب القسيّ

من خلال ما سبق نلتمس قوله في رحلته النثرية: « وبعد مكابدة الأين\* ، ومعاينة الحين ومقاساة غصة وحرقة، والسلو عن ألم وداع وفرقة، وصلنا إلى القفر القواء أرض برقة\* فوجدنا برية هي أم البراري والفقار، والمومأة المؤمنة بالإقلال من وصال الأسفار، يستغرب عذابها المنفض من الحجاج (...). واشتدت وهالت، وأريدت\* ، وحالت ولو أنشدت لقاتل:

أنا الغول غالت من يطور فناءها وتخدع بالألطف طوراً وبالبر\*

فإن أكلوا بُري شربت نفوسهم وكم بين نفس المرء في الغدر والبر\*.

أما في حديثه عن سكانها يقول: «سكانها من الأعراب كل فظ غليظ، يخرج بجفائه الأحنف\* ويغيظ، حتى تكاد منه النفس تغيظ، لا جرم إنهم يقرون النزيل»<sup>2</sup>.

كما تحدث عن مبانيها ومساكنها بقوله: « ولها بناء مليح نُقر فيه عين يمين وشمال صور بيوت لم يتم عملها، وإذا دخلت من باب الدار ألفت قبة مليحة متسعة مرتفعة السمك

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 202.

\* - الأين: الأعياء والتعب.

\* - برقة: مدينة ليبية قديمة بين الإسكندرية وإفريقية وبين البحر ستة أميال.

\* - أريدت: تغيرت.

\* - البر: الخير والإحسان.

\* - الأحنف بن قيس تميم وأحد العظماء الفاتحين، يضرب به المثل في اللحم.

<sup>2</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 203.

مربعة منقوشة بأبدع النقش (...). وقبالة الباب باب آخر يطلع منه درج إلى بيت كبير،  
وجميع ذلك منحوت في حجر صلدٍ يفوت الوصف إتيانها»<sup>1</sup>.

من برقة مر بالإسكندرية التي استرسل في الحديث عنها، يقول منشداً:

وسل إسكندرية أين وليّ  
وسل عن ساكن إسكندريّ

في الشأن نفسه يصف في رحلته النثرية الإسكندرية بأوصاف متعددة بدءاً بمساكنها  
ومناظرها الخلابة، ذاكرة عجائب وإتقان مبانيها وأبوابها وعتبها حسنة النحت، يقول: «ومن  
جملة إبداعها وإغرابها ما رأيت من إتقان أبوابها، وذلك أن عضائدها وعتبها-مع إفراط طول  
الأبواب- كلها من حجارة منحوتة، يتعجب من حسنها وإتقانها، وكل عضادة منها حجر  
واحد، وكذلك كل عتبة وأسكفة، ولا أعجب من وضعها هنالك مع إفراط عظمها»<sup>2</sup>.

كما تحدث عن عمود السواري والمنار وسوء أخلاق أهل الإسكندرية يقول: «أكثر أهلها  
رعاع\*، ضرر بلا انتفاع، مع سوء أخلاق، ومرارة مذاق، وقلوب رباها الضعن\* تربية الأولاد  
وجفاها الخير والصلاح لما عمرها من الشر والفساد، الخير فيهم فعل لا يتصرف، والغريب  
بينهم نكرة لا تتعرف، إن رأوه زادوا الوجوه جهامة، ونكروا منها ما قد نكرته الدمامة  
والذمامة»<sup>3</sup>.

كذلك استغرابه لقلة دينهم واعتراضهم للحجاج، يقول: «ومن الأمر المستغرب (...). أنهم  
يعترضون الحجاج (...) ويأخذون على وفدهم الطرق والفجاج\*، يبحثون عما بأيديهم من  
مال، ويأمرون بتفتيش النساء والرجال» ثم يتحدث عن عاداتهم السيئة الشنيعة يقول: «وما

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 205.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 212.

\* - رعاع الناس: سقاطهم وسفلتهم.

\* - الضعن: الحقد.

<sup>3</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص ص 214-215.

\* - الفجاج: جمع فج، الطريق الواسع بين جبلين.

رأيت هذه العادة الذميمة، والشيمة اللئيمة، في بلد من البلاد، ولا رأيت في الناس أقسى قلوباً ولا أقل مروءة وحياء، ولا أكثر إعراضاً عن الله سبحانه، وجفاء لأهل دينه من أهل هذا البلد»<sup>1</sup>.

يذكر العبدري أنه صادف أثناء تواجده بالإسكندرية جملة من العلماء أمثال الشيخ ابن المنير وقد أورد قوله: «ومنهم الشيخ الجليل الفاضل، الفقيه، العالم، الكامل، الرئيس الأوحد القاضي العادل، شرف الفقهاء والمفتين (...) زين الدين أبا الحسن علي بن محمد منصور المالكي، يعرف بابن المنير (...) وقرأت عليه "الأربعين حديثاً البلدانية" للإمام الحافظ أبا طاهر أحمد ابن محمد السلفي (...)».

يقول أيضاً: «وسمعت من لفظه قصيدته النبوية التي نظمها في سفره إلى الحجاز يقول في مستهلها:

أجب دعوة الرحمن يا صاح تسعد      وبادر لفرض الحج غير مفند  
ولذ بالمتاب الآن وازدد من التقى      فإن اتقاء الله خير التزود»<sup>2</sup>

أضف إلى ذلك صادف الشيخ الغرافي يقول: «ولقيت بالإسكندرية، سيدي الشيخ الأجل الراوية، المحدث، الشريف، الأوحد (...) تاج الدين أبا الحسن، علي بن الشيخ الفقيه العالم المحدث أبا العباس أحمد بن عبد المحسن الحسيني الغرافي»<sup>3</sup>، وقد قرأ عليه ثلاثيات البخاري، وكتبتها من أصله (...) وقرأت عليه بعض كتاب "فتح الوصيد في شرح القصيد" للشيخ الإمام علم الدين أبا الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي»<sup>4</sup>، كما أنشده

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 216.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص ص 228-234.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 245.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص ص 246-255.

بعضاً من الشعر يقول: «وأشدني الإمام ناصر الدين أبو العباس أحمد بن منصور الإسكندري الجذامي من نظمه :

الشعر قسمان: مغسول ومغسول      تداولوا السمع والثاني هو السول

أرده أبداً إلا إذا شفعت      فيه المحاسن عندي فهو مقبول»<sup>1</sup>

إلى جانب هذا نجد الشيخ الأديب محي الدين المازوني، حيث أورد العبدري بعضاً من الشعر الذي أنشده إياه يقول: فأشدني لنفسه :

ومعتقد أن الرياسة في الكبر      فأصبح ممقوتا به وهو لا يدري

يجزُ ذبول العجب طالب رفعة      ألا فاعجبوا من طالب الرفع بالجر

وأنشده أيضا:

عتبت على الدنيا لتقديم ناقص      وتأخير ذي فضل، فقالت: خذ الغدرا

بنو النقص أبنائي، وكل فضيلة      فأريابها أبناء ضررتي الأخرى<sup>2</sup>

من الإسكندرية توجه صوب القاهرة يقول في رحلته الشعرية:

بقاعدة الديار ديار مصر      وسل بعبيدهم والقرمطيّ

على غرار ذلك نجده في رحلته النثرية يصف ديارها وأبنيتها وحماماتها وأهراماتها وعادات

سكانها، إذ يذكر المقابر والمشاهد يقول: «هي مدينة كبيرة القطر، وساكنها يحاكي عدد

الرمل والقطر (... ) وإن نظرت إلى صورتها ذكرت قول القائل :

بُغاث الطير\* أطولها رقابا      ولم تطل البزاة ولا الصقور

وإن تأولت إلى مغناها ذكرت قوله :

وقد عظم البعير بغير لب      فلم يستغن بالعظم البعير

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 253.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 267.

\* - بغاث الطير: مالا يصيد، ولا يرغب في صيده.

وإن تأملت إفراط عمارتها ذكرت قوله :

خشاش الطير \* أكثرها فراخا وأم الصقر مقلاة نزور\*<sup>1</sup>

كما تحدث عن تدني أخلاقهم وانحطاطها، وغياب الحياء وقلة التدين والنظافة وانتشار الفحش والعادات الدنيئة، وتضييع المساجد والجوامع يقول: «قلة التحفظ فيها، حتى تصير مثل المزابل، وتسود حُصرها وحيطانها من الأوساخ وقد صليت الجمعة في بعض جوامعها فرأيت فيه أكواما من أنواع الكناسات»<sup>2</sup>.

قال منكرا على أهل مصر اشتغالهم بعلم المنطق يقول: «...ومن الأمر المنكر عليهم والنكر المألوف لديهم، تدارسهم العلم الفضول، وتشاغلهم بالمعقول عن المنقول، وفي إكبابهم على علم المنطق، واعتقادهم أن من لا يحسنه، لا يحسن أن ينطق»<sup>3</sup>.

يذكر العبدري أنه التقى بالشيخ شرف الدين الدمياطي يقول: «ولم أر بها بهذه المدينة - على كثرة الخلق بها- أمثل وأقرب إلى الإنسانية، وأجمل معاملة من الشيخ الفقيه، المحدث الراوية، المسند، المفتي، الثقة، الضابط، شرف الدين، ذي الكنيتين أبي محمد وأبي أحمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي» يقول أيضا: «وقد كتبت عنه أحاديث وسمعت منه حديث عبد الله بن عمرو "الراحمون يرحمهم الرحمن" وهو أول حديث سمعته منه (...). وسمعت عليه جملة من سنن الشافعي -رحمه الله-»<sup>4</sup>.

أنشده قال: «أنشدني الصغاني المذكور لنفسه :

إذا أختبيت تجاه الركن يحدق بي أفاضل الناس من شأم ومن يمن»<sup>5</sup>

\* - خشاش الطير: شرار الطير وما لا يصيد.

\* - النزور من الإناث: القليلة الأولاد.

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 275.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 280.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 284.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص ص 289-290.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 294.

صادف أيضا الشيخ ابن دقيق العيد يقول: «وممن لقينته بها الشيخ، الفقيه المحدث (...).  
تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري، ويعرف  
بابن دقيق العيد، صاحب المدرسة الكاملة (...). وقد أجازني جميع ما حدث به من  
مسموعاته، وجميع ما صدر عنه من نظم ونثر»<sup>1</sup>.

بعد أن انتهت رحلته من مصر توجه نحو أيلة يقول منشداً :

وسل في أيلة برا وبحرا      وينبع سل بمنقطع ثوي

في الصدد نفسه يذكر رحلته النثرية موقع أيلة كما استشهد بقول أبي عبيدة في وصف  
المنطقة وكذا المتيجي الذي ذكرها في رسالته "الرسالة في القبلة" أضف إلى ذلك ذكره لأقوال  
البكري في "نقد المسالك والممالك" إذ وصف العديد من المناطق مثل: مدينة بيت المقدس  
قصر الجم بإفريقية، سرت، أوجلة ونفيس.

زد على هذا فقد ذكر العبدري عقبة أيلة واصفا مشقة السفر إليها، ذاك المدة المستغرقة  
للوصول إليها حيث تقدر بخمسة أميال، كما تحدث عن أسواقها وشدة غلاء طعامها  
بالمقارنة مع الشام ومصر، يقول في هذا الشأن: «وربما كثر بها حتى يزيد سعره على سعر  
الشام ومصر (...). وقد كان كثيرا من الناس رجوا رخصها لرخص الشام، فلم يكملوا جهازهم  
من مصر، فلما أتيناها بلغت بها وبية\* الدقيق ستة عشر درهما (...). والوبية المصرية ستة  
عشر قدحا، وقدحهم أقل من المد الحفصي (...). فلما صدر الحجاج كثر الجلب إليها لما رأوا  
من غلائها، فلم تزد الوبية على ثلاثة دراهم، وانتهى إلى أن لم يوجد له مشتر فرجعوا به إلى  
الشام»<sup>2</sup>.

ثم توجه العبدري صوب وادي القر حيث استغرق في مسيرته إليه نصف يوم يقول فيه:  
«وهو واد متناول لا ماء به، وهو متصل إلى مغارة شعيب، شديد البرد، ولذلك سمي وادي

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص ص 299-301.

\* - الوبية: مكيال للحبوب يستعمل بمصر ويزن 25 كيلو غراما، والقدرح يزن 1.562 كغ تقريبا.

<sup>2</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 340.

القر»<sup>1</sup>، مروراً بمغارة شعيب التي مسيرتها يومان يقول: «وهي مغارة كبيرة مرتفعة السمك جداً، معجبة الصفة، متسعة من بابها إلى داخلها (...) والمغارة نفسها من صنع الله (...) والماء في قعرها كثير ظاهر من الباب، راكد كأنه بركة مطر (...) وبين باب المغارة وقعرها بالتقدير ستون أو سبعون ذراعاً، وهي آخر وادي القر»<sup>2</sup>.

من مغارة شعيب إلى عيون القصب يقول: «ومنها إلى عيون القصب يومان، وهو ماء جار عذب ولكنه ليس بالكثير، ومنبعه من لهب\*، بين جبلين على يسار المتوجه إلى الشرق وفيه الطرفاء\*، والبردي\* كثير، تخالطه رائحة البردي كثيراً، وهو من أقرب مياه البرية متاولاً وأقلها كلفة».

كما مر أيضاً بكفافة التي مسيرتها يومان يقول فيها: «وكفافة جبل على يسار الطريق، قد ندرت\* منه شماريخ\*، مصطفة كأنها الجبل، أحساء يحفر عنها في واد يقال له: سلمى وماؤها غزير عذب ما يكاد يُرى في البرية مثله عذوبة وصفاء»<sup>3</sup>.

يقول: «ومن كفافة إلى الوجه ثلاثة أيام، وهو ماء عذب طيب في أصل جبل مثل الأول ولكنه ليس في الغزارة والإمكان مثله (...) وهناك ماء آخر رائع\* على الطريق في جهة اليسار كثيراً يعرف بالشعبيين (...) ومن الوجه إلى أكرأ ثلاثة أيام وهو واد كبير، وماؤه أحساء

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 340.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص ص 341-342.

\*- لهب: الشعب الصغير في الجبل.

\*- الطرفاء: شجر لا خشب له، تتحمض به الإبل إذا لم تجد حمضاً غيره.

\*- البردي: نبت معروف واحدته بردية، وهو نبات مائي كالقصب.

\*- ندرت: برزت.

\*- شماريخ: رؤوس الجبال.

<sup>3</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 342.

\*- رائع على الطريق: أي خارج عنه.

يحفر عنه نحو القامة، وهو غزير عذب (...)<sup>1</sup>، ومن أكرأ إلى الحوراء ثلاثة أيام، والحوراء أحساء على شاطئ البحر غزيرة، وماؤها ملح خبيث منكر الرائحة، لا يكاد يجرع (...) ومنها إلى المغيرة يومان، والمغيرة تصغير مغارة، وهي واد بين جبلين محفورة في بطن الوادي ومدخلها ضيق يهبط منه في درج وماؤها قليل (...) <sup>2</sup>« وأخيرا وصل إلى ينبع يقول فيها: «ومنها إلى ينبع يومان جادان، وينبع من بلاد الحجاز المعروفة وهي بليدة في أصل جبل ضعيفة البناء قليلة الساكن، والخراب بها كثير (...) وللركب في سوق كبير، والتمر فيه كثير، ومنه يتجهز من نقصه شيء من زاده إلى مكة، وبه يحط أهل مصر أثقالهم ومالا يحتاجون إليه من زادهم حتى يرجعوا»<sup>3</sup>.

بعد أن تعرف على أيلة وما تحتويه من قرى وأودية توجه إلى الدهناء يقول ذاكراً :

وفي الدهناء باح ولم يداهن      لسان الحال بالسر الخفيّ

فسل فيها منازل عافيات      كوشم لاح في كف الهدّيّ

على غرار ذلك يورد في رحلته النثرية أنه استغرق في الوصول إليها مدة قصيرة دامت نصف يوم، إذ أن بها ماء غزير ونخل كثير.

ثم توجه مباشرة إلى بدر و فيها قال:

وسل بدرا بعير من قريش      وعن فرسانها وسط الركيّ

في مقابل ذلك نجده في رحلته النثرية يصف واد بدر بالغرارة، ويذكر ما تحتويه من نخيل وعمارة، ثم ينتقل بالحديث عن المسجد الذي بداخله مقبرة تضم عددا من قبور الشهداء

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 343.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 344.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص ص 345-346.

الصالحين وكذا سوق بدر والغار الذي دخله الرسول -صلى الله عليه وسلم- مع أبو بكر -رضي الله عنه- حين هاجروا من مكة.

من بدر ينتقل إلى موضع يسمى البزواء\* يقول: «وهي دوية\* ممتدة ملساء، مجهل من أعظم المجاهل، نكراء، يضل بها لنكرتها الدليل، ويذهل فيها الخليل عن الخليل وهي مسيرة ثلاثة أيام (...). وفي منتهاها واد يقال له: رابغ\*، وبعضهم يقوله بالخاء، وإذا كثر المطر كانت به غدران عظيمة، فيبقى فيها الماء زمانا»<sup>1</sup>.

ثم تحدث عن الجحفة إذ أن الحجاج يغتسلون برابغ يقول في هذا المنوال: «وفي رابغ يغتسل الحجاج للإحرام ومنه يحرمون وهو دون الجحفة بمسافة، والجحفة على يسار طريق الركب على أميال وهي الميقات، وما أظن الآن بها عمارة، وإنما لم يكن الإحرام منها إلا لأنها رائغة عن الطريق». وقد أورد العبدري قول القاضي عياض يقول: «وحكى القاضي عياض في مشاركة قولاً: إنما سميت الجحفة من سبب سيل الجحاف الذي اجتحف الحجاج عام ثمانين»<sup>2</sup>.

من الجحفة توجه إلى خليص يقول في رحلته الشعرية:

وجئت خليص أسأل عن نجي

من الآفات في الدنيا سريّ

فقال: ما سمعت بمشرقي

نجا من صرفها أو مغربيّ

\* - البزواء: موضع في طريق مكة قريب من الجحفة.

\* - دوية: الفلاة الواسعة.

\* - رابغ: واد يقطعه الحاج بين البزواء والجحفة.

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص ص 348-349.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص ص 349-350.

في هذا الشأن يتحدث العبدري في رحلته النثرية عن خليص وما تحويه من نخل كثير ومياه جارية، مادحا سكانها واصف إياهم بالكرم والجود، كما ذكر سوقها العظيمة وما يجلبون إليها من غنم وتمر وخيرات كثيرة.

كما مرَّ على عقبة السويق التي دامت مدة السفر إليها نصف يوم يقول: «وهي عقبة كثيرة الرمل، وليست بطويلة ولكنها شاقة لوعرتها، والناس يقصدونها بشرب السويق (...). ويخلطونه مع السكر، وأصحاب مصر يسقونه للناس هناك كثيراً»<sup>1</sup>.

من خليص توجه إلى بطن مرّ، يقول منشداً :

وكررت السؤال ببطن مرّ                      فقيل: ضللت عن نهج سويّ

فلا وأبيك ما في الأرض حيّ                      وفي سهم الحتوف ولا ابن حيّ

وشأن الدهر حل وارتحال                      وبطش بالعدو وبالوليّ

وكم أعدى الضعيف على قوي                      مدل، والفقير على الغنيّ

نجدته في رحلته النثرية يصف واد بطن مر الذي يتوفر على نخل كثير وماء جار وعمارة، ثم يعرج الحديث عم المدرج يقول فيه: «والمدرج على نصف يوم من خليص، وهو مضيق بين جبلين، وفي موضع منه بلاط على صورة الدرج وأثر عمارة قديمة، وهنالك بئر يقولون: أن عليّ بن أبي طالب-رضي الله عنه- أحدثها هنالك»<sup>2</sup> ويقول أيضاً: «وعلى مقربة من مكة بنحو أربعة أميال ثلاثة مساجد مصطفة على الطريق، بينها مسافة قليلة وموضعها التنعيم\*، وهو أدنى الحل إلى الحرم ومنه يعتمر أهل مكة، وكانت عائشة-رضي الله عنها- اعتمرت من هنالك حين بعثها رسول الله-صلى الله عليه وسلم- مع أخيها عبد

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 352.

<sup>2</sup> -المرجع نفسه، ص 352.

\* - التنعيم: موضع بمكة في الحل، وهو حد الحرم من جهة المدينة، على ثلاثة أميال أو أربعة من مكة.

الرحمن من مكة في حجة الوداع، فبنيت تلك المساجد هنالك، وعرفت بمساجد عائشة وموضع إحرامها»<sup>1</sup>.

من وراء مكة توجه إلى بطن ذي طوى يقول العبدري: «وهو واد يهبط على قبور المهاجرين التي بالحصاحص\*، وهو دون ثنية كداء، والطريق إلى هنالك متياسرة عن الثنية المذكورة» ويستشهد العبدري بقول الأزرقى قال: «قال الأزرقى: «والمسجد الذي هنالك بنته زبيدة\*، حيث نزل رسول الله-صلى الله عليه وسلم-» كما أورد قول عياض: «هو واد بمكة» وذكره ابن جبير في رحلته: «بين مساجد عائشة وبين الثنية»<sup>2</sup>.

كما ذكر العبدري ثنية كداء التي دخل منها رسول الله-صلى الله عليه وسلم- في حجة الوداع، مروراً بالمغمس الذي موضعه يمين المصلى بعرفة يقول: «كان رسول الله إذا أراد قضاء الحاجة وهو بمكة خرج إلى المغمس\* على ثلثي فرسخ»، ومعناه أنه يخرج إلى ناحية المغمس لا أنه يصل إليه<sup>3</sup>.

ثم ختم العبدري رحلته بوصوله إلى مكة المكرمة قال في رحلته الشعرية :

ولما جئت مكة قمت فيها	أسائلها بكعب أو لويّ
فقالته قد سطا بهما منون	وبعدهما أناخ على قصيّ
وصال عليهم شخصاً فشخصاً	فسل إن السؤال جلاء عيّ
وما نكل الردى عن هاشمي	ولا أنف الردى من باهليّ

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 353.

\* - الحصاحص: الجبل المشرف على ظهر ذي طوى إلى بطن مكة.

\* - زبيدة: كان اسمها أمة العزيز بنت المنصور الهامية العباسية، زوجة هارون الرشيد.

<sup>2</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص ص 353-354.

\* - المغمس: موضع قرب مكة في طريق الطائف.

<sup>3</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 357.

في الشأن نفسه يورد في رحلته النثرية قوله: « ثم نزل الركب بالمحصب يوم الاثنين سابع ذي الحجة (...) وفي يوم التروية دخلت إلى البلد الأمين\* ، مقر المجد الصميم والشرف المكين، فخر بقاع الأرض كلها على مر السنين :

بلد نحوه يحن الرسول                      وبه علقت قديما عقول

بلد إن رأوه يوما مشوق                      قال: لمني أو لا تلم يا عدول<sup>1</sup>

ثم يصف العبدري مناظر مكة من بنيان وجبال وصولا إلى المسجد الحرام، ويتحدث عن أبوابها الثلاثة ومناسكها يقول: « وفي شرقها المناسك كلها: عرفة ومزدلفة\* ، ومنى على ما يتبين إن شاء الله، وفي الجنوب منها جبل أبي قبيس\* ، وفي الشمال الجبل الأحمر\* وقعيقان»<sup>2</sup>.

ثم يتحدث عن المسجد الحرام ويصفه بأبعاده منبها بعجيب صنعه وفخامته، ذاكرة حيطانه وأبوابه وأسقفه، كما انتقل بحديثه عن بئر زمزم موردا كل التفاصيل عنه معطيا لمحة شاملة عن البئر واصفا إياه بالدفء والعذوبة يقول فيه :

ولكن له في النفس موقع فرحة                      تفاجئ بعد اليأس قلب كئيب  
ترى صور الأحباب مرآة صفوه                      فيطفي من الأحشاء لفح لهيب<sup>3</sup>

\* - البلد الأمين: هو مكة.

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 358.

\* - مزدلفة: موضع لمبيت الحجاج، ومجمع للصلاة إذا صدروا من عرفات.

\* - جبل أبي قبيس: هو الذي انشق فيه القمر لرسول الله (ص) ويقع فوق الصفا ويطل على المسجد الحرام.

\* - الجبل الأحمر: يقع في جهة الشمال من مكة شرفها الله على قعيقان.

<sup>2</sup> - محمد العبدري : مرجع سابق، ص 365.

\* - جبل قعيقان: جبل بينه وبين مكة اثنا عشر ميلا على طريق الحوف الى اليمين ويشرف على الكعبة.

<sup>3</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 369.

كما تحدث عن جهل الحجاج وشدة اندفاعهم وازدحامهم أثناء دخولهم قبة زمزم، يقول: « ولم أدخل قبة زمزم لكثرة الإزدحام، ولا ضاغت\* في دخولها (...) فلم أجد مدخلا من كثرة الخلق، وإفراط الزحام، والذي يكون بها وبغيرها من المضايقة والمدافعة، وتكلف ما لم يرد به شرع»<sup>1</sup>، ودخولهم إلى الركن الأسود أشبه ما يكون بالملاكمة، يقول واصفا: « ولم ير عبدة من لم ير قتالهم على الركن الأسود وعلى دخول الكعبة، ترى الرجال يتساقطون على النساء والنساء يتساقطون على الرجال، ويلتف البعض بالبعض، ويتأهبون للقتال، ويستعدون للدفاع والملاكمة، وكلما يتمكن أحدهم من الركن فيفارقه حتى يثخن\* ضربا»<sup>2</sup>.

يوصل العبدري سرد الأحداث التي تقع في مكة أثناء الحج، إذ يصف القتال الحاصل على باب الكعبة يقول: « وأما قتالهم على باب الكعبة، وتطرحهم، وتعلق بعضهم ببعض فعجب، وذلك أن الباب مرتفع أزيد من القامة، وفيه قوم وقوف تنثال\* عليهم الدنانير والدرهم بلا حساب، حلوانا على دخول البيت، فإذا أدلوا شخصا من الأرض تعلق به آخرون، فتراهم سلسلة أولها في الكعبة وآخرها في الأرض»<sup>3</sup>.

ثم يذكر كلا من مقام إبراهيم والكعبة الشريفة وموضعها مستشهدا بقول الأزرق في حديثه عن المقام، يقول: « قال الأزرق: « وهو مربع طوله ذراع، وعرضه أحد وعشرون إصبعا، والقدمان داخلتان فيه سبعة أصابع، وبين القدمين إصبعا، ووسطه قد استدق من

\* ضاغت: زاحمت.

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص ص 369 - 370.

\* يثخن: يبالغ ويكثر.

<sup>2</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 370.

\* تنثال: تتصب.

<sup>3</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 371.

التسمع به، وهو في حوض من ساج مربع حوله رصاص، والحوض ملبّس بالرصاص وعليه صندوق ساج مسقف يقفل عليه»<sup>1</sup>.

كما خصص العبدري فصلا تحت عنوان أسماء مكة، أورد فيه بعض أسماءها: «لما أسماء مكة، وبكة، وصلاح عدول، والعرش، والقادس، والمقدسة، والنساسة (...) والبيت العتيق، وقيل: هي الكعبة، وأم رُحِم بضم الراء، وأم القرى، والحاطمة، والرأس (...) والقرية القديمة والبلدة الحرام»<sup>2</sup>. ثم خصص فصلا للحديث عن بناء مكة وأورد أقوالا مختلفة حول هذا الشأن يقول: «وقيل إن الملائكة بنت البيت، وأنهم لما قالوا:

« أتجعل فيها من يفسد فيها» (...) وقال لهم: « ابنوا في الارض بيتا يعوذ به كل من سخطت عليه، كما فعلتم بعرشي، فبنوا البيت (...) حكي هذا عن ابن عباس أيضا قال: وبناه من خمسة أجبل: طور سيناء\*، وطور زيتاء\*، ولبنان، والجودي، وحراء»<sup>3</sup>.

كما أورد فصلا بعنوان "فصل فقهي مختصر في المناسك" تحدث فيه عن شروط الحج أركانه وفضله، وكذا فصلا في حدود الحرم، وبعد ما أكمل مناسك الحج وكل أركانه توجه نحو المدينة المنورة، وله فيها كلام كثير.

في الأخير توجه إلى المدينة المنورة يقول في رحلته الشعرية :

وفي السبطين جنن بكل نكر      على كفي طليق أودعي  
وما راعت عياذ أبي خبيب      ببيت الله والحرم العليّ

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص ص 373 - 374.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 377.

\* - طور سيناء: جبل بقرب أيلة، وعنده بليد فتح في زمن النبيّ.

\* - طور زيتاء: هو الجبل الشرقي عند بيت المقدس وهو جبل عظيم مشرف على المسجد الأقصى.

<sup>3</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص 380.

في نفس الصدد يقول في رحلته النثرية: « فضاء أفيح يقطع البازل الفنيق، ومسرح للفضائل يزري بالروض الأنيق، وفخر كما التهبت نار في رأس نيق، فعد عن نار غالب وفخر همام، عشا إليها من هو من نسب التوفيق عريق، وعشا عنها من هو في بحر الخذلان غريق، لما لاحت وأوضحت الطريق، يقول :

مقام للعلاء به مقام وفيه إنجاب عن ضوء ظلام

به مثوى السيادة غير شك به الدين والدنيا انتظام

به قمر السعود ثوى مقيما فسار بنور غرته الأنام<sup>1</sup>

يستمر واصفا: « مدينة مليحة، ظاهرة الشراقة والرونق، موضوعة في مستو من الأرض على واد به غابة عظيمة من النخل، وأرضها سبخة وبظاها حرة سوداء ووعر، وسورها قد أثر فيه القدم، وترتبه حمراء، ولها جملة أبواب لا أحصى عدتها، والبقيع\* شرقيها، وجبل أحد شماليها (...) وقباء\* منها في جهة الشرق». ثم يتحدث عن البقيع يقول: « وفي البقيع- زاده الله طهارة- من المزارات الشريفة مالا يحصره وصف في قبور الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين، وعلى أكثرها مبان وقباب متقنة، ومن أشهرها وأتقنها قبة عثمان بن عفان- رضي الله عنه- (...) وتليها قبة العباس- رضي الله عنه-، وفي كل قبة وبنية بالبقيع عدة مقابر للصحابة وغيرهم»<sup>2</sup>.

كما تطرق أيضا إلى وصف مسجد النبي- صلى الله عليه وسلم- والروضة الشريفة التي تقع داخل المسجد عند الجدار الشرقي قريبا من الركن الذي على يسار المحراب.

<sup>1</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص ص 420-421.

\* - البقيع: هو بقيع الغرقد، مقبرة أهل المدينة.

\* - قباء: منزل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قبل أن يسير إلى المدينة.

<sup>2</sup> - محمد العبدري، مرجع سابق، ص ص 422-423.

كما صادف العبدري أثناء تواجده بالمدينة المنورة شيخا من أهل العراق هو عفيف الدين أبو محمد عبد السلام بن محمد بن مزروع البصري التمار، يقول: « وجدتته في حرم رسول الله (ص) تجاه الروضة المقدسة -زادها الله جلاله- فألفيته شيخا ركينا، ذا سمت وهيئة، ولقاء جميل، رحل في البلاد ولقي الناس، وسمع من الشيوخ، استقر به القرار آخرا بالمدينة مجاورا (...). وسمع مني شيخنا عفيف الدين المذكور القصيدة التي نظمها بالحجاز في مدح رسول الله (ص):

فوق إلى غرض الفلاة وسدد  
سهم السرى تقصد وتحظ بمقصد  
أوترقسيا من مطي إن رمت  
رنت كما رنت قسي المقصد<sup>1</sup>

كما خصص فصلا في حديثه عن بناء مسجد الرسول-صلى الله عليه وسلم-وقبلته وزيادة عمر في المسجد وتوسيعه، وزيادة كل من عثمان والوليد بن عبد الملك والمهدي محمد بن أبي جعفر المنصور، كما تحدث عن المنبر الذي كان يخطب فيه رسول الله (ص) وهو جذع النخلة وحديثه عن قبلة مسجد النبي-صلى الله عليه وسلم-.

في رحيله من المدينة يوم الأربعاء ثلاثين لذي الحجة يصف الأماكن التي مرَّ بها مرورا بالدهناء ثم ينبع ثم عقبة أيلة إلى مصر، ويتحدث عن سفره مع الأمير الصالح علاء الدين الأعمى، وذكر الخليل وتخصيصه فصلا لحديثه عن تربة لوط\* التي تقع شرقي حرم الخليل -عليهما السلام-، ووصوله إلى بيت المقدس وحديثه عن المسجد الأقصى وقبة الصخرة.

<sup>1</sup>- محمد العبدري، مرجع سابق، ص ص 429 - 431.

\*- تربة لوط: يقع قبر لوط في قرية تسمى كفر بريك .

# خاتمة

تعتبر الرحلة حلقة وصل بين الأمم والشعوب في مختلف الأمصار حيث ساهمت في إثراء الرصيد المعرفي من جهة والتعرف على الموروث الثقافي والعادات السائدة آنذاك.

ولقد حاولنا في هذه الدراسة إبراز قيمة الرحلات من خلال "رحلة العبدري الشعرية"، إذ ساهم هذا الأخير في تصوير مشاهداته من مناظر طبيعية وجغرافية إلى أوضاع المعيشة.

وقد توصلنا من خلال هذا البحث إلى نقاط هامة تمثلت فيما يأتي:

- لعب الرحالة دورا مهما في إحداث التواصل بين الشعوب، كما كان لهم الفضل في اكتشاف العديد من البلدان والقارات الغابرة.

- يشترط في أدب الرحلة الصدق، فكان لزاما على الرحالة إبراز مدى مصداقيته ونقل مشاهداته بكل أمانة من قول وفعل.

- تساهم الرحلة بشكل كبير في التعرف على الأقوام وتفكير الشعوب، حيث نجد الرحالة يسافرون ثم يرجعون مزودين بالمعلومات والأخبار.

- لقد ساهمت الرحلة في ولادة العلماء والمفكرين وإحياء معارفهم وآثارهم، لذلك جاءت مؤلفاتهم سجلا يشهد عليه التاريخ لما خلفوه من انطباعات عن حياة الأمم والشعوب التي زاروها.

- تعد رحلة العبدري الشعرية منبعا للمعلومات المختلفة، لما تحتويه من ذكر للآثار والجغرافية وكذلك خصوصية كل منطقة.

- لقد كانت رحلة العبدري إلى البقاع المقدسة شاقة وطويلة، حيث لمحناه يمر بعدة مدن فكانت انطلاقته من مسقط رأسه "حاحة" مرورا ببعض بلدان المغرب الأقصى وبلدان المغرب الأوسط، ببلدان المغرب الأدنى، كما توجه أيضا إلى مصر والإسكندرية وأيلة وصولا إلى مكة حيث أدى مناسك الحج.

- كان الهدف من رحلة العبدري أداء مناسك الحج بالدرجة الأولى ونشر العلم بالدرجة الثانية.

- لقد تنوعت نظرة العبدري لمناطق الوطن العربي، بحيث نجده يعجب ببعض المناطق مثل: الجزائر، قسنطينة، وفي مقابل ذلك يذم مناطق أخرى ويُبدي استياءه منها كمنطقة عنابة، مصر، أما حديثه عن مكة فنلمحه يُعلى من شأنها لُقداستها ويعجب بالمنطقة وما جاورها من قرى.

- التقى العبدري أثناء رحلته بمجموعة من كبار العلماء والشيوخ والمفكرين حيث أخذ عنهم وقرأ لهم بعض الشعر.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## قائمة المراجع والمصادر:

أولاً/ القرآن الكريم

ثانياً/ القواميس والمعاجم:

- 1 ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مادة "رحل"، ط1، تح: خالد رشيد القاضي، دار صبح، بيروت، لبنان، 2006.
- 2 أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج3، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (د.ب)، (د.ت).
- 3 جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ط1، دار العلم، بيروت، لبنان، (د.ت).
- 4 مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، جمهورية مصر العربية، مكتبة الشروق الدولية، 2004.

ثالثاً/ المصادر:

- 1 ابن الوزان الزياتي، وصف إفريقيا، تر: عبد الرحمن حميدة، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005 .
- 2 تيوان الثغري التلمساني (أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي الأندلسي)، جمع وتحقيق وشرح نوار بوحلاسة، منشورات مخبر الدراسات التراثية، جامعة منتوري قسنطينة، 2004 .
- 3 زاكور الفاسي المسماة:نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان ، (د.ط)، المعرفة الدولية للنشر و التوزيع، الحراش، الجزائر، 2011.
- 4 محمد العبدري البلنسي، الرحلة المغربية، ط1، تقديم سعد بوفلاحة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة، الجزائر، 2007.
- 5 محمد العبدري، رحلة العبدري، ط2، تح: علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين دمشق، سوريا، (د.ت).

## رابعاً/ المراجع:

- 1 - أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، (د.ط)، دار البيان العربي، جدة السعودية، (د.ت).
- 2 جلال سالم طحيمر الهروط، صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية والمغربية (د.ط)، عمان، الأردن، 2012.
- 3 جورايو عبد الحفيظ، صورة مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، ط1، دار السويدي، أبو ظبي، الإمارات، 2009.
- 4 -البلوي خالد، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، (د.ط)، تح: الحسن السائح المحمدية، (د.ت).
- 5 جلال السعيد الحنفاوي، رحلات الحج الهندية إلى مكة المكرمة وأثرها في مسلمي شبه القارة الهندية، (د.ط)، الجامعة المصرية للثقافة الإسلامية، ألماتي، قازا قسان، 1426هـ.
- 6 جمال الدين القاسمي الدمشقي، رحلتي إلى المدينة المنورة، دط، تح: محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، (د.ت).
- 7 حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ط2، دار الأندلس، بيروت، لبنان 1983.
- 8 حسين محمد فهميم، أدب الرحلات، (د.ط)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، 1989.
- 9 -السليمان محمد صالح، الرحلات الخيالية في الشعر العربي الحديث، (دط)، منشورات إتحاد الكتاب العربي، المغرب، 2000.
- 10 - سيد حامد النساج، منشورات كتب الرحلة (قديماً وحديثاً)، (د.ط)، مكتبة غريب (د.ت).
- 11 - صادق باشا المؤيد العظم، رحلة الحبشة من الأستانة إلى أديس أبابا، (د.ط)، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، أبوظبي، 1896.

- 12 - علي ابراهيم كردي ادب الرحل في المغرب والأندلس، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2013.
- 13 - عواطف محمد يوسف النواب، الرحلات المغربية والأندلسية، (د.ط)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996.
- 14 - فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ط2، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة مصر، 2002.
- 15 - ناصر عبد الرازق الموافي، الرحالة في الأدب العربي، (د.ط)، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1995.
- 16 - نوار بوحلاسة، الممتع الداني من الشعر الزباني، ج1، (د.ب)، (د.ت).
- 17 - نوال عبد الرحمن الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية، ط1، دار المأمون عمان، الأردن، 2007.

#### خامسا/ المذكرات:

- 1 أشواق قواري وسناء دغة، العادات والتقاليد في الرحلات الغربية، (مذكرة ماستر) المركز الجامعي ميله، قسم اللغة العربية، ميله، الجزائر، الأستاذ عبد الحفيظ بورايو 2016.
- 2 بـدرون صليحة وبوقاعدة نعيمة، ميله في النصوص الرحلية العربية الحسن الوزان نموذجاً، (مذكرة ماستر)، المركز الجامعي ميله، قسم اللغة العربية، ميله، الجزائر، الأستاذ عبد الحفيظ بورايو، 2017.
- 3 جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، (مذكرة ماستر)، جامعة محمد خيضر، قسم اللغة العربية، بسكرة، الجزائر، الأستاذ أحمد بن لخضر فورار، 2015 .
- 4 زيان عرب الشعبة، النص الشعري في شعر الثغري التلمساني (دراسة موضوعاتية فنية) (شهادة ماستر)، المركز الجامعي ميله، قسم اللغة العربية، ميله، الجزائر، الأستاذ عبد الحفيظ بورايو، 2015.

- 5 -ساجدة عبد كاظم الحساني، رحلات المغاربة والأندلسيين إلى الحجاز في القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني والثالث عشر الميلاديين، (مذكرة ماستر)، كلية الآداب جامعة الكوفة، قسم التاريخ، الكوفة، الأستاذ رياض حميد مجيد الجواري، 2010.
- 6 -شادي حكمت ناصر، ابن بطوطة وصناعة أدب الرحلة: نسيج الواقع والخيال، (مذكرة ماستر) كلية العلوم والآداب، الجامعة الأمريكية في بيروت، لبنان، حزيران، 2003.
- 7 -خصيرة حميروش، جمالية الإرتحال في تائية ابن الفارض، (مذكرة ماستر)، المركز الجامعي ميله، قسم اللغة العربية، ميله، الجزائر، الأستاذة زهيرة بوزيدي، 2015.
- 8 -وهيبة جرفي، الآخر في رحلة الحسن الوزن -وصف افريقيا-، (مذكرة ماستر) المركز الجامعي ميله، قسم اللغة العربية، ميله، الجزائر، الأستاذ عبد الحفيظ بورايو 2014.

طائفة

ملخص:

لقد ارتكز بحثنا هذا على دراسة رحلة العبدري الشعرية وما احتوته من أوصاف طبيعية وجغرافية وبشرية، وما تضمنه من ذكر لعادات وتقاليد كل منطقة.

ونظراً لقيمة الموضوع وثرائه ارتأينا إلى دراسته، وذلك من خلال ضبط عنوانه "رحلة العبدري الشعرية" وقد قسم الموضوع إلى مدخل وفصلين، تمحورت مادته حول مفاهيم نظرية حول مفاهيم نظرية حول الرحلة، دوافعها، أنواعها، أدبيتها، ثم موضوعات الرحلة، أما المحور الأخير حول ترجمة المؤلف ثم اهتدينا إلى دراسة رحلة العبدري الشعرية، وفي الختام قارناها برحلته النثرية.

وفي الأخير أنهينا بحثنا بخاتمة كانت حوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها.

وبما أن موضوع رحلة العبدري الشعرية لم يتطرق إلى دراسته فيما نعلم أي باحث فقد أردنا من خلال دراسته أن نمهد الطريق لفتح مجال الدراسة والتوسع فيه لما احتواه من ثراء وغنى في المادة العلمية.

## Résumé :

Cette recherche a été basée sur l'étude du voyage de la poésie Abdari et ses descriptions de naturel, géographique et humain, et la mention des coutumes et des traditions de chaque région. Le sujet était divisé en deux chapitres, centrés sur des concepts théoriques sur les concepts théoriques du voyage, ses motifs, ses types, la littérature et les thèmes du voyage. Traduction de l'auteur puis Ahtena pour étudier le voyage de la poésie d'Al-Abdari, et en conclusion nous le comparons à son voyage en prose.

Enfin, nous avons conclu notre recherche avec une conclusion qui était l'aboutissement des résultats les plus importants. Puisque le sujet du voyage de la poésie d'Al-Abdari n'abordait pas l'étude de ce que nous connaissons de chercheur, nous voulions à travers l'étude paver la voie pour ouvrir le champ d'étude et d'expansion à cause des riches et riches de l'article scientifique.

# الفه رسي

فهرس المحتويات:

الصفحة	الموضوع
أ - ج	مقدمة
5	مدخل
-	<b>الفصل الأول: مفاهيم نظرية حول الرحلة</b>
14	المبحث الأول: تعريف الرحلة
14	1 لغة
17	2 اصطلاحا
19	3- الرحلة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة
19	أ - الرحلة في القرآن الكريم
20	ب - الرحلة في السنة النبوية الشريفة
22	المبحث الثاني: دوافع الرحلة
23	1-الضرورة
23	2- أداء فريضة الحج
26	3 طلب العلم
29	4 السفر وأمور السياسة
30	5 السياحة
30	6 الاقتصاد والتجارة
32	7 توافع صحية
33	المبحث الثالث: أنواع الرحلات
33	1 الرحلات الواقعية
33	أ -الرحلات الدينية
35	ب - الرحلات العلمية
36	ج- الرحلات التجارية
37	د- الرحلات الرسمية
37	2 الرحلات الخيالية
38	أ -الرحلة الأسطورية
38	ب -الرحلة المغامراتية

40	المبحث الرابع: أدبية الرحلة
42	المبحث الخامس: موضوعات الرحلة
43	1 ذكر حاحة
43	2 ذكر أنسا
44	3 ذكر تلمسان
45	4 ذكر مليانة
46	5 ذكر الجزائر
46	6 ذكر بجاية
47	7 ذكر ميلا
48	8 ذكر بني ورار
48	9 ذكر قسنطينة
49	10 ذكر بونة
49	11 ذكر خولان
49	12 - ذكر باجة
50	13 ذكر تونس
51	14 - ذكر القيروان
52	15 - ذكر قابس
52	16 - ذكر طرابلس
53	17 - ذكر مصراطة
53	18 - ذكر قصور سرت
53	19 - ذكر برقة
55	20 - ذكر الاسكندرية
56	21 - ذكر مصر
58	22 - ذكر أيلة
59	23 - ذكر الدهناء
59	24 - ذكر بدر
59	25 - ذكر خليص
60	26 - ذكر بطن مر
60	27 - ذكر مكة

61	28 - ذكر المدينة المنورة
-	الفصل الثاني: مضامين رحلة العبدري الشعرية
64	مقدمة
67	المبحث الأول: ترجمة المؤلف
67	1 اسمه ونسبه
69	2 صفاته الخلقية
70	3 مؤلفاته
70	4 تسميتها
71	5 توافع رحلته
71	6 مميزات رحلته وأسلوبه فيها
75	المبحث الثاني: رحلة العبدري الشعرية
100	المبحث الثالث: مقارنة رحلة العبدري الشعرية برحلته النثرية
134	خاتمة
137	قائمة المصادر والمراجع
142	الملخص باللغة العربية/ اللغة الفرنسية
145	فهرس المحتويات
-	الملاحق

الامتة

## [الرحلة المنظومة]

وهذه قصيدة نظمتها في الرحلة ، رأيت أن أختتم بها هذا التقييد مستعينا بالله على

ذلك : [ ١٤٩ / ب ] [الوافر]

عليك النصح رده بكلّ حيّ  
فمعظم ديننا نصح البرايا  
وقد نصح الجماد لذي اعتبار  
لسان الحال أبلغ من بليغ  
٥ . وقدا سارت الأمثال عنها  
وإن ألفيت وارده فحيّ<sup>(٢)</sup>  
كذاك أتى الحديث عن النبيّ<sup>(٣)</sup>  
وكفّ أولي النهى عن كلّ غيّ<sup>(٤)</sup>  
وفي ذي الجهل أعيان من عييّ<sup>(٥)</sup>  
وما زدنا سوى حرف الرّويّ

---

(١) البيت منسوب للمجنون في ديوانه ٢٩٣ من قصيدة المؤنسة ومطلعها :

تذكّرت ليلي والسنين الخواليا  
وأيام لا نخشى على اللهو ناهيا

وكذلك هو في ديوان قيس لبنى ١٦٢ .

(٢) نقل ابن القاضي ١٥ بيتا في جذوة الاقتباس ١ / ٢٨٧ . ٢٨٨ .

(٣) يريد قول النبي عليه السلام «إن الدين النصيحة» .

(٤) أولو النهى : أصحاب العقول . الغيّ : الضلال والباطل .

(٥) العييّ : العجز عن التعبير اللفظي .

- فأصغ إلى نصائحها مصيخا  
مسحت الأرض غربا ثم شرقا  
فقلت : ما سؤالك بعد علم  
تسائل والحوادث مفصحات  
١٠ . فصافحت التصفّح مستبينا  
مررت بحاجة فسألت عمّن  
فقلت : خلفوني ذات شجو  
أناخ بهم زمان ليس يرثي  
وقد أهدى الكسوف إلى أناس  
١٥ وجئت السّوس أسأل وهو أقصى  
ألم ترني وحيدا من أناسي  
وطفت بلاده أرضا فأرضاً  
ووافينا تلمسانا فأبدت
- وأيقظ جفن ندب شمري<sup>(١)</sup>  
أسائل عن عواقب كلّ حيّ  
ألم ترهم جميعا تحت طيّ  
صوائح قد أصمّت بالدويّ  
فما ألفت أرضا ذات عيّ  
أناخ بآخر الغرب القصي<sup>(٢)</sup>  
أبكي بالغداة وبالعشيّ  
لغيلان ، ولا يعنى بمي<sup>(٣)</sup>  
تراهم كالبدر لدى الندى<sup>(٤)</sup>  
فقال : إليك عن كمد شجيّ<sup>(٥)</sup>  
كما عطلت كعاب من حليّ<sup>(٦)</sup>  
تخبرني بموتهم الوحي<sup>(٧)</sup>  
على أهل مضوا شجو النعيّ

- (١) في جذوة الاقتباس : شمري بالسين ، والندب : الخفيف في الحاجة . ورجل شمري : ماض في الامور والحوادث مجرّب .
- (٢) أناخ بالمكان : أقام .
- (٣) أناخ بهم : حلّ بهم . غيلان : هو ذو الرّمة الشاعر المعروف . وميّ محبوبته .
- (٤) كسف القمر : ذهب ضوءه واسودّ . والندى : المنتدى . يريد أن هؤلاء الناس الذين كانوا كالنجوم دفنوا تحت التراب .
- (٥) الكمد : الحزين .
- (٦) عطلت المرأة من الحلي : خلت من الحلي . الكعاب : التي نهت ثديها .
- (٧) الوحي : السريع العاجل .

كذا مليانة أبدت عويلا	لأهل ضمّهم جرف الأتيّ (١)
٢٠ . ورحت إلى الجزائر ذا سؤال	ف قيل : سألت عن هيّ بن بيّ (٢)
دع التّسال عمّن حلّ تربا	وبادر منهج البرّ التّقي
وقالت لي بجاية : أنت خلو	«فياويح الشّجّي من الخليّ» (٣)
تسائل عن أمور ظاهرات	عقرت لها ظهورا للمطيّ (٤)
وجئت بني ورار وهي عمري	أثارت كامن الشّجن الخفيّ
٢٥ . وميلة لم تمل عن نهج نصح	أصخ إن كنت ذا فهم سنيّ (٥)
ومن شاء الحديث فقل قسنطى ...	نة تروي حديث المغربيّ
وبونة قد أبانت من أبانت	صروف الدّهر من سام سريّ (٦)
وفي خولان أطرقت اعتبارا	«جری الوادي فطمّ على القريّ» (٧)
وباجة بالبوائح قد أباحت	وأمحل روضها من بعد ريّ
٣٠ . ولما جئت تونس وهي خود	زهت بجمالها وبحسن زيّ

- (١) العويل : رفع الصوت بالبكاء والصياح ، والأتيّ : السيل يأتي من بعيد.
- (٢) هيّ بن بيّ ، وهيّان بن بيّان : لا يعرف هو ولا يعرف أبوه ، وقيل : هيّ بن بيّ كان من ولد آدم فانقرض نسله.
- (٣) ضمّن العبدري المثل : ويل الشجّي من الخليّ ويروي : ما يلقي الشجّي من الخليّ وهو في الميداني ٢ / ٢٧٣ ، وأمثال ابن سلام ٢٨٠ ، وفصل المقال ٣٩٥ .
- (٤) عقر الظهر : جرحه وحزّه ، والمطيّ : واحدها المطيّة : الدابة يركب ظهرها.
- (٥) فهم سنيّ : فهم كبير.
- (٦) السريّ : السيّد الشريف ذو المروءة. و صروف الدهر : نوائبه وحدثانه.
- (٧) ضمّن العبدري المثل جرى الوادي فطمّ على القريّ ، وهو في الميداني ١ / ٢١٩ وجمهرة الأمثال للعسكري ١ / ٣٢٢ والمستقصى ٢ / ٥١ ، وتمثال الأمثال ٢ / ٤١٠ .

- سألت عن الألى هاموا إليها  
فقلت : ما أرى منهم أنيسا  
وجئت القيروان فجئت قفرا  
وقابس قد نرفت بها سؤالا  
٣٥ . ورحت إلى طرابلس فقلت :  
وفي مصراة سحت جفوني  
وفي زديك مسقط كل قفر  
يقول : صحبت قبلكم أناسا  
وكم رمّت لديّ عظام شخص  
٤٠ . وباحت بالتداء قصور سرت  
وقالت لي : أقمت هنا زمانا  
وكم نشرت عليّ بنود ركب  
فما طال المدى إلا قليلا  
رأيت الدهر يسحت كلّ حيّ
- فكم برّ بها منهم حفيّ  
وشرّ الوصل وصل الأدميّ  
يجيب صداه بالصوت الشجّيّ  
فكانت مثلها سيّا بسيّ  
(١) رمت أهلي الحوادث عن قسيّ  
(٢) لما أبدت من النصّح الجليّ  
بيان بالخطاب المعنويّ  
(٣) غدوا لسهام دهري كالرّميّ  
(٤) منيب ، فاضل ، برّ ، تقيّ  
(٥) فأورت زند فكر الألمعيّ  
أشاهد عبرة في كلّ حيّ  
(٦) عليهم غابة من سمهريّ  
وقد عفاهم مرّ الأتيّ  
(٧) يكرّ على الجبان مع الكميّ  
(٨)

(١) القسيّ : جمع قوس.

(٢) سحّ : سال وصبّ.

(٣) الرّميّ : الهدف الذي يرمي عليه.

(٤) رمّ العظم : بلي . المنيب : التائب.

(٥) الألمعيّ : الذكي المتوقّد الحديد اللسان والقلب.

(٦) البنود : أعلام الفرسان ، السّمهريّ : الرّمح الصليب العود.

(٧) عفى الأثر : محاه . الأتيّ : السّيل.

(٨) يسحت : يستأصل . الكميّ : الشجاع المقدم الجريء.

تلين عريكة القلب القسي	٤٥ . وقد برقت ببرقة لا معات
وسل عن ساكن إسكندري	وسل إسكندرية أين ولى
وسل عن جوهر مولى الشقي <sup>(١)</sup>	[١٥٠- وسل فسطاط عمرو عن نواه
وسل بعبيدهم والقرمطي <sup>(٢)</sup>	بقاعدة الديار ديار مصر
فكم من فاضل فيهم رضي	وسل أم القفار بمن طوته
وكم حالت حلى وجه وضي <sup>(٣)</sup>	٥٠ . وكم حلت قوى من حلّ فيها
غدا نضوا بها مثل النضي <sup>(٤)</sup>	وكم ضخم يموج من امتلاء
فكم ناع حوته وكم نعي	بها صرف الزمان يكون صرفا
وينبع سل بمنقطع ثوي	وسل في أيلة برّا وبحرا
فعرّج إنّها بيت الروي <sup>(٥)</sup>	وإن تعطف لطيبة ليت عنس
أيخفي التّرب أقمار السمي	٥٥ . وقل أين الأحبة ليت شعري
أخا جفن رو ووحشي ظمي <sup>(٦)</sup>	وقفت هناك معتبرا سؤولا
إذا ما سيم بيع بلا نسي <sup>(٧)</sup>	بجمع ما به إلا مشوق

- 
- (١) هو جوهر الصقليّ باني القاهرة ، والمقصود بالشقيّ : المعزّ العبيدي .
- (٢) القرمطي : هو الحسين بن زكرويه كان يدّعي الانتماء إلى الطالبين ، لقب نفسه المهدي أمير المؤمنين .
- (٣) حالت : غيّرت .
- (٤) النضو : الهزيل . والنضيّ : كالنضو .
- (٥) اللّيت : صفحة العنق والعنس : الناقة القويّة .
- (٦) رواية الشطر الثاني في ط : «أخا جفن رو ووحشي ظميّ» وبه لا يستقيم الوزن .
- (٧) السّوم : عرض السلعة على البيع . النسء : التأخير .

- فقلت لها : فديتك أين أوس؟  
فقلت : ويك قد ذهباً لأمر  
٦٠ . وكم قد راح بعدهما منون  
فيا عجباً تسألني بأوس  
وفي الدهناء باح ولم يدهن  
فسل فيها منازل عافيات  
وسل بدراً بعير من قريش  
٦٥ . وجئت خليص أسأل عن نجى  
فقلت : ماسمعت بمشرفي  
وكررت السؤال ببطن مر  
فلا وأبيك ما في الأرض حي  
وشأن الدهر حلّ وارتحال  
. وكم أعدى الضعيف على قوي  
ولما جئت مكة قمت فيها
- وأين أخوه معتق الكمي<sup>(١)</sup>  
عظيم الشأن في وجه قضي  
بأوسي وراح بخزرجي  
وحسبك واعظاً قبر النبي  
لسان الحال بالسرّ الخفي  
كوشم لاح في كفّ الهدى<sup>(٢)</sup>  
وعن فرسانها وسط الركي<sup>(٣)</sup>  
من الآفات في الدنيا سري  
نجا من صرفها أو مغربي  
ف قيل : ضللت عن نهج سوي  
وقي سهم الحتوف ولا ابن حي  
وبطش بالعدوّ وبالولي  
مدلّ ، والفقير على الغني<sup>(٤)</sup>  
أسائلها بكعب أو لؤي<sup>(٥)</sup>

(١) يريد الأوس والخزرج.

(٢) عفت الرياح الآثار : إذا درستها ومحتها. والهدى : العروس تهدي إلى زوجها.

(٣) العير : القافلة : والركي جمع ركية وهي البئر وفيه إشارة إلى قتلى بدر من الكفار الذين وضعوا في القليب.

(٤) المدلّ بالشجاعة : الجريء.

(٥) كعب ولؤي : جدان من أجداد قريش.

وبعدهما أناخ على قصي <sup>(١)</sup>	فقال قد سطا بهما منون
فسل ، إنَّ السَّوَال جلاء عي	وصال عليهم شخصا فشخصا
ولا أنف الرّدى من باهلي <sup>(٢)</sup>	وما نكل الرّدى عن هاشمي
حينفا مسلما من جاهلي <sup>(٣)</sup>	٧٥ . ولا مازت عساكره قديما
تبدّت للذّكيّ ، وللغيّ	فما لك سائلا عن واضحات
كسرن عماد كسرى الفارسيّ	أما دارت على دارا صروف
وعثمان وبعد على عليّ <sup>(٤)</sup>	وقد أنحت على الفاروق جهرا
على كفيّ طليق أو دعيّ <sup>(٥)</sup>	وفي السّبطين جئن بكلّ نكر
بيت الله والحرم العليّ <sup>(٦)</sup>	٨٠ . وما راعت عياذ أبي خبيب
ولا بزئير ليث قاصريّ <sup>(٧)</sup>	وما عبأ الرّدى ببغام ريم
ولا غضّ الشّباب ولا صبيّ	وما أبقى على شيخ وكهل
ولا ذو الرّشد ميّز من غويّ	ولا ذو العلم خصّص من جهول
وأحمد والإمام الشّافعيّ <sup>(٨)</sup>	بمالك الإمام غدا منيخا

(١) قصي بن كلاب : جدّ من أجداد قريش.

(٢) نكل عن الأمر : نكص وجبن. الرّدى : الهلاك.

(٣) ماز : عزل وفرز.

(٤) الفاروق : عمر بن الخطاب.

(٥) السّبطان : الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

(٦) أبو خبيب : هو عبد الله بن الزبير ، حاصره جيش الحجّاج في بيت الله الحرام ، وقتله ثمة.

(٧) بغام الظبية : صوتها : والليث القاصري : الحبيس.

(٨) مالك : هو ابن أنس إمام المذهب المالكي ، وأحمد هو ابن حنبل إمام المذهب الحنبلي.

وقطّ لسان طلق لودعيّ <sup>(١)</sup>	٨٥ . وبلد فكره من كلّ حبر
ولا في قفرة عن أخدريّ <sup>(٢)</sup>	وما إن خام عن وعل بنيق
بوسميّ يصوب ولا وليّ <sup>(٣)</sup>	نفوس الخلق يشرب ليس يروى
وليل النّقع أجزاً من كميّ <sup>(٤)</sup>	يشقّ القفر أهدى من قطة ،
ولا شقّ الغبار بأعوجيّ <sup>(٥)</sup>	وما جاب القفار بأرحبيّ
وليس يني يذوّب كلّ نيّ <sup>(٦)</sup>	٩٠ . وليس يني يبدد كلّ نظم
مخاتلة لهم ، كمسير فيّ <sup>(٧)</sup>	تراه إلى الورى يخطو الهوينى
ولا هاب القوافي من عديّ <sup>(٨)</sup>	وما دارى لمنطقه جريرا
ولا أرضى المفاخر في الرّضيّ <sup>(٩)</sup>	[ ١٥١ / ب ] وما حابى لصنعته حيبيا
ولا طرفا يسان بأتحميّ <sup>(١٠)</sup>	وما أعفى من الأحداث عفوا
ولا ذمرا يصول بمشرفيّ	٩٥ . ولا غمرا يصوب بكلّ ريّ

- (١) الحبر : العالم الصالح . اللودعيّ : المتوقد الذهن واللسن الفصيح .
- (٢) خام : نكص : النيق : أرفع موضع بالجبل ، الأخدريّ : الحمار الوحشي الأسود .
- (٣) الوسميّ : مطر أوّل الربيع ، والوليّ : في صميم الشتاء .
- (٤) في ط : أجرى : والكميّ : الشجاع المقدم الجريء ، ضمّن العبدري في بيته المثل : أهدى من قطة ، وهو في مجمع الأمثال ٢ / ٤٠٩ .
- (٥) أرحبيّ نسبة إلى بني أرحب بطن من همدان إليهم تنسب النجائب الأرحبية ، وأعوجيّ منسوب إلى فحل سابق من الخيل يقال له : أعوج .
- (٦) النيّ : الشّحم . من نوت الناقة إذا سمت .
- (٧) الفيّ : خففت همزته وهو الظلّ .
- (٨) جريير هو الشاعر المعروف ، وعديّ هو ابن زيد الشاعر الجاهلي المعروف ، أو ابن الرّقاع العامليّ .
- (٩) حبيب : هو أبو تمام الشاعر المعروف ، والرّضيّ : هو الشريف الرضيّ الشاعر .
- (١٠) . الأتحميّ : ضرب من البرود .

ولا عبدا ترمّل في كسيّ	ولا ملكا تدين له البرايا
فرى في السابريّ حشى الرميّ <sup>(١)</sup>	إذا حان المدى من حين حين
ولا أجرى الشهود على النسيّ <sup>(٢)</sup>	وما عرف الكبيس فزاد يوما
وسل عمرا بوالده لحيّ	فسل بالناسئين ولا نساء
بهمتّه إلى أقصى الرقيّ	١٠٠ . ولا تطمح بعينك نحو سام
يكون هويّه سبب الهويّ	فأرقى الناس منزلة كسهم
ففي الأمثال «أغدر من بغيّ» <sup>(٣)</sup>	ولا يغرركمن دنياك وصل
حقيق أن يصاخ له حريّ	فقلت : لقد نصحت بكلّ معنى
ولكنّ النداء لغير حيّ <sup>(٤)</sup>	وقد أسمعت لو ناديت حيّا
فوفّك المهيمن من وصيّ	١٠٥ . فقالت : قد عهدت إليك نصحا

(١) فرى الشيء : شقّه وأفسده ، والسابري : الدروع المنسوبة إلى سابور .

(٢) النسيّ : الزيادة .

(٣) المثل : «أغدر من بغيّ» لم أقف عليه فيما رجعت إليه من كتب الأمثال .

(٤) مأخوذ من قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي في ديوانه : ١١٣

لقد أسمعت لو ناديت حياً      ولكن لا حياة لمن تنادي

(١) انتهت الرحلة المباركة بحمد الله تعالى وحسن توفيقه وصلّى الله على سيّدنا

ومولانا محمّد وعلى آله وكملت في أوائل ذي قعدة من عام خمسة وأربعين وسبع مئة

بمدينة مراكش المحروسة من نسخة المصنّف<sup>(٢)</sup>